
Looloo
dvd4arab

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ مهمّة رجل واحد ..

انطلق رنين الهاتف المجاور لفراش (أدهم صبرى) فجأة ، فانتزعه من سُبات عميق ، وبدا له ذلك الرَّنين المتقطِّع كسيل من الرصاصات ، يخترق رأسه ، وينفذ عَبْرَ خلايا مخّه بلا رحمة ، فالتقط سمّاعة الهاتف ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول فى صوت خامل متكاسل ، لم يفارقه النوم بعد :

ـ مَنِ المتحدِّث ؟

تسلَّل إلى أذنه صوت الرائد (وحيد) ، زميله فى إدارة المخابرات العامّة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ كيف حالك يا سيادة المقدّم ؟

تطلَّع (أدهم) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى السابعة والنصف صباحًا ، وغمغم فى ضجر :

ـ فى خير حال يا (وحيد) ، على الرغم من أننى لم أستغرق فى النوم سوى فى السادسة صباحًا ، بعد عودتى من الإدارة ، أى أننى لم أنم سوى ساعة ونصف ساعة منذ صباح أمس .

بدا صوت (وحيد) أقرب إلى الاعتذار ، وهو يغمغم فى خجل :

ــ أعلم ذلك يا سيادة المقدم ، ويؤسفنى أن أقلقت نومك ، ولكن سيادة اللواء المدير يريدك فى مكتبه بسرعة .

كانت العبارة تكفى ليتبخّر كل ذلك التكاسل والخمول من جسد (أدهم) ، الذى امتلأ فجأة بنشاط عارم ، وهو يغادر فراشه ، قائلاً فى نبرات قويّة :

ــ أبلغ المدير أننى فى طريقى للإدارة على الفور .

حاول (وحيد) أن يكرّر اعتذاره مغمغمًا :

ــ يؤسفنى مرّة أخرى أن .....

ولكن عبارته لم تكتمل أبدًا ، فقد كان (أدهم) قد وضع سمّاعة الهاتف ..

* * *

كان من المستحيل على من يشاهد (أدهم) ، وهو يغادر شقته فى الثامنة إلّا الثلث صباحًا ، أن يتصوّر تلك الحالة التى كان عليها ، حينما تلقى مكالمة زميله (وحيد) منذ عشر دقائق فقط ، فقد كانت الحيوية تملأ وجهه ، وتعلن عن وجودها فى كل خليّة من خلاياه ، وكان يبدو شديد الوسامة بوجهه

الحليق ، وشعره الفاحم المصفّف فى عناية ، وتلك الحُلّة السّوداء الأنيقة ، التى تتناقض مع قميصه الأبيض النّاصع ، ويخفف من تناقضهما رباط عنقه الرّمادىّ ، الذى يشفّ عن ذوق رفيع ..

ولقد زيّنت وجه (أدهم) ابتسامة جذّابة ، زادت من وسامته ، وهو يلتقى بجاره الأستاذ (جميل) أمام مصعَد البِناية ، ويحييه قائلاً :

ــ صباح الخير يا أستاذ (جميل) .. إنه يوم لطيف .. أليس كذلك ؟

حدّق الأستاذ (جميل) فى وجهه بدهشة واستنكار ، لم يحاول إخفاءهما ، وهو يقول :

ــ يوم لطيف ؟!.. إنه من أسوإ أيام فصل الشتاء على الإطلاق .. إن درجة البرودة تصل إلى خمس عشرة درجة مئوية على الأكثر ، والمطر ينهمر كالسيول فى الخارج .. كيف يمكن أن تصف مثل هذا اليوم بأنه يوم لطيف؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يتذكّر ذلك البرد القارص ، الذى كاد ينخر عظامه يومًا فى معتقل (سيبيريا) ، حيث كانت

درجة البرودة تبلغ الأربعين تحت الصفر(*) ، وقال فى هدوء :

ـ ولكن مناخنا فى (مصر) يُعَدّ معتدلاً ، بالمقارنة بمناخ العديد من الدول يا أستاذ (جميل) .. أليس كذلك ؟

مطّ الأستاذ (جميل) شفتيه ، وهو يقول فى لهجة متبرّمة :

ـ بلَى .. هذا صحيح .

وصل المصْعَد فى تلك اللحظة ، ودعا (أدهم) الأستاذ (جميل) ليتقدّمه ، ثم لحق به داخل المصْعَد ، وضغط زرّ الهبوط إلى الطابق السفلىّ ، فى حين سأله (جميل) فى لهجة تخفى وراءها الكثير من السخط والتساؤل :

ـ هل تعلم أنها أوّل مرّة نلتقى فيها فى مثل هذا الموعد يا أستاذ (أدهم) ؟

أراد (أدهم) أن يخبره أن السبب يعود إلى أنه يستيقظ عادةً فى الخامسة والنصف صباحًا ، ويزاول رياضة العَدْو فى الطرقات المحيطة بمنزله حتى السادسة والنصف ، ثم يذهب إلى الإدارة ، حيث يصلها فى السابعة تمامًا ، وهو نفس الوقت الذى يكون فيه الأستاذ (جميل) قد استيقظ على التوّ من نومه ،

(*) راجع قصة (القضبان الجليدية) .. المغامرة رقم (٤٥) .

ولكن طبيعته الحَذِرة جعلته يكتفى بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ هذا من سوء حظّى بالتأكيد .

أومأ الأستاذ (جميل) برأسه موافقًا ، ثم عاد يقول فى فضول واضح :

ـ لاريْبَ أن عملك لايحتاج للاستيقاظ مبكّرًا ، فأنت تعمل بالأعمال الحرة حسبما يردّد سكّان البناية .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، على الرغم من أن تلك الأسئلة قد أصابته بالملل :

ـ بلَى .. ربّما .

عاد الأستاذ (جميل) يسأله فى شغف وفضول شديدين :

ـ ما طبيعة تلك الأعمال بالضبط يا أستاذ (أدهم) ؟

كاد (أدهم) ينفجر ضاحكًا ، وهو يتخيّل التعبيرات التى سترتسم حتمًا على وجه الأستاذ (جميل) ، لو أنه أخبره بحقيقة عمله ، ولكنه كتم ضحكته ، وحافظ على ابتسامته الهادئة ، وهو يقول :

— إنها أعمال غير تقليدية يا أستاذ (جميل) .. أعمال خاصة .

أنقذه وصول المصعد إلى الطابق الأرضى من سؤال جديد ، ارتسم على ملامح الأستاذ (جميل) ، وانفرجت شفتاه لتلقى به ، لولا أن بادره (أدهم) ، قبل أن يغادر المصعد فى سرعة :

— فرصة سعيدة يا أستاذ (جميل) .. أرجو أن يتكرر هذا اللقاء مرة أخرى .

انعقد حاجبا الأستاذ (جميل) فى استنكار ، وهو يتابع ببصره (أدهم) ، الذى اخترق مدخل البناية فى خطوات سريعة ، غير مبال بالمطر المنهمر فى غزارة ، وقفز داخل سيارته ، وأدار محركها لتنطلق به مبتعدة ، وفتح الأستاذ (جميل) مظلته ، وأحكم كوفيته حول عنقه ، ثم رفع المظلة فوق رأسه ، واتجه إلى سيارته ، وهو يغمغم فى سخط :

— يا له من شاب عابث !! من الواضح أنه من ذلك النوع الذى لا يشعر بالمسئولية قط ، وأن حياته لاهية رتيبة ، لا تحمل أى نوع من الإثارة .

وهز رأسه فى ثقة ، قبل أن يردف فى تأكيد :

— إن نظرتى لا تخطئ أبدا ..

* * *

استقبل مدير المخابرات (أدهم صبرى) فى مكتبه ، وصافحه وهو يقول :

— من المؤسف أن نضطر لإيقاظك فى مثل هذا الطقس يا (ن ١) ، ولكن تفوقك فى عالم المخابرات منح (مصر) الحق فى أن تناديك فى أية لحظة ، ما دامت تحتاج إليك .

غمرت المكان موجة من الحماس والحب ، مع حروف كلمات (أدهم) ، وهو يقول :

— ولن يمنعنى سوى الموت من تلبية هذا النداء يا سيدى .

تطلع إليه مدير المخابرات بنظرة تحمل كل الفخر والاعتذار ، ثم ربت على كتفه فى حرارة ، وهو يقول :

— هذا ما تنتظره منك (مصر) يا ولدى .

ثم اتجه ليجلس خلف مكتبه ، وبسط راحتيه فوقه ، وهو يستطرد فى اهتمام ، بدا وكأنه قد ملك كيانه كله :

— إن (مصر) تعانى فى الآونة الأخيرة انتشار شبكات التجسس ، على نحو يؤلمها يا (ن — ١) ، ولا يكاد يمضى شهر أو آخر ، إلا وتلقى أجهزتنا القبض على جاسوس

أو جاسوسين، كما لو كنا على شفا حرب طاحنة جديدة ..
ويزعجنى أن أخبرك أن عدد شبكات التجسس الداخلية ، التى تمّ الإيقاع بها، خلال الأشهر الخمسة الماضية، يفوق كل شبكات التجسس التى أوقعنا بها، فى الفترة بين حرب عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين، وحرب أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، مما جعل الأمر يتخذ صورة بالغة الخطورة، جعلتنا نجنّد كل عملائنا فى الداخل والخارج ، للسعى خلف سر انتشار شبكات التجسس فى بلادنا على هذا النحو.

لاح مزيج من القلق والاهتمام فى عينى (أدهم) ، وهو يسأله :

— هل تتبع كل هذه الشبكات من مصدر واحد يا سيّدى؟

قلّب مدير المخابرات كفّيه فى حيرة ، وقال :

— هذا ما يبدو لنا يا (ن — ١) ، فكل هذه الشبكات تعمل بنظام واحد ، وتتبع وسيلة واحدة فى جمع المعلومات ، وإرسالها إلى الخارج ، ولكن ما من شبكة كانت تعلم شيئاً عن أفراد الشبكات الأخرى ، كما أن العناوين التى تُرسل إليها المعلومات تختلف من شبكة إلى أخرى .. ولكن .....

نطق مدير المخابرات الكلمة الأخيرة بلهجة خاصة ، جعلت (أدهم) يسأله فى شغف :

— ولكن ماذا يا سيّدى ؟

انحنى المدير إلى الأمام ، واستند بصدره إلى حافة مكتبه ، وهو يقول فى اهتمام بالغ :

— لقد درسنا كل ذرّة تراب أمكن العثور عليها، عند إيقاعنا بكل شبكات التجسس ، ونبشنا كل شبر بحثاً عن طرف الخيط ، الذى يقودنا إلى مصدر هذه الشبكات ، وهدفها، حتى عثرنا بعد نضال وجهاد وعرق على ما بدا لنا أنه طرف خيط ، فتشبثنا به ، وفحصناه ، ومحّصناه ، وسعينا خلفه ، ولكننا عجزنا عن جذب الخيط كله من هذا الطرف .

غمغم (أدهم) فى لهجة تحمل كل انفعاله :

— إنك تلهب فضولى يا سيّدى .

نهض مدير المخابرات من مقعده، واستدار بجسده كله؛ ليواجه خريطة العالم الضخمة، المعلّقة خلف ظهره ، أسفل علم الجمهورية ، ووضع طرف سبّابته على نقطة من أعلاها ، وهو يقول :

— هنا انتهى الخيط .. فى خط طول (٨٠°) غربىّ

(خط جرينتش)(*) ، وخط عرض (٨٠°) شمالىّ (خط الاستواء)(**) .. هنا ضاع الخيط من رجالنا .

تطلّع (أدهم) إلى حيث أشار مدير المخابرات ، فوجد سبّابته تستقر وسط جزيرة (السمير) ، فى أقصى الشمال الكندى ، وقفز ذهنه دون أن يدرى ، محاولاً تصوُّر درجة البرودة فى ذلك المكان ، الذى يسبح فى المحيط القطبىّ الشمالىّ ، فى ذلك الوقت من السنة ، ولكنه طرد هذه الفكرة من ذهنه فى سرعة ، وهو يستمع إلى مدير المخابرات ، الذى أردف فى ضيق واضح :

ــ هنا وجد رجالنا أنفسهم عاجزين عن العمل ، فى جزيرة يبلغ تعداد سكانها أقل من تعداد قرية مصرية صغيرة ، ويبدو فيها الغريب مميَّزًا واضحًا ، كما لو كان هرّة سوداء على

(*) خط جرينتش : خط الطول الجغرافى الرئيسى ، يمر بالمرصد الفلكى الشهير ، الذى يسجّل منه توقيت (جرينتش) ، والذى يوجد فى ضاحية (جرينتش) بمدينة (لندن) فى (إنجلترا) .

(**) خط الاستواء : خط العرض الرئيسى جغرافيًا ، ويقال عنه أيضًا (خط الصفر الجغرافى) .. وهو يقسم الكرة الأرضية إلى قسمين ، شمالىّ وجنوبىّ ، وهو يقطع (أمريكا الجنوبية) ، و (إفريقيا) ، و (سومطرة) ، وجزر (بورنيو) .

سطح من الجليد الناصع البياض .. هنا انتهى بنا الخيط إلى مزيد من الغموض .

اعتدل (أدهم) ، وهو يسأل المدير فى اهتمام بالغ :

ــ ألا توجد هناك مصانع ، أو شركات تجارية يمكن التعامل معها ؟

ابتسم المدير ابتسامة مبتسرة ، وهو يقول :

ــ لقد التقطت العبارة من فمى يا (أدهم) .. نعم .. توجد هناك شركة تجارية واحدة ، ومصنع واحد يتبع نفس الشركة ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لدخول (السمير) ، بأقل قدر من إثارة الشّكوك والحذر ، فهذه الشركة تعتمد على صيد وتصدير الأسماك القطبية ، ولها فروع فى معظم دول (أوروبا) ، وهناك شخص ما ، داخل هذه الشركة ، يدير كل شبكات التجسُّس التى أوقعنا بها ، لهدف ما ، والوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا الشخص ، وذلك الهدف ، هو انتحال صفة رجل أعمال ، يسعى للتعاقد على شراء ، أو استيراد منتجات الشركة .

نهض (أدهم) ، وابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ أعتقد أننى أحتاج إلى العودة لمنزلى أوّلًا يا سيّدى ، قبل

أن أنطلق إلى (كندا) ، فى شخصية رجل الأعمال هذا ، فلا ريب أن درجة البرودة هناك ستصل إلى ماتحت الصفر بكثير ، وثيابى هذه لن .....

قاطعه مدير المخابرات فى حزم :

ـ لقد أرسلت حقيبتك إلى المطار منذ ساعة يا (ن ـ ١) .. وستجد بها كل ماتحتاج إليه .

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

ـ وماذا عن (منى) ؟

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ستبقى (منى) هنا يا (ن ـ ١) .. إن مهمتك هذه المرة لاتحتمل العنصر النسائى .. إنها مهمة رجل واحد .

شعر (أدهم) بالضيق ، لأن (منى) لن ترافقه فى مغامرته هذه المرة ، إلا أنه أجاب فى ثبات :

ـ كما تأمر يا سيدى .

ثم استدار ليغادر الحجرة ، إلا أن المدير استوقفه ، قائلاً :

ـ (أدهم) ..

كانت كلمته تحمل دفء الدنيا كلها ، مما جعل (أدهم) يستدير ليواجهه فى هدوء ، وهو يقول فى صوت خافت :

ـ نعم يا سيدى .

صمت مدير المخابرات لحظة ، وهو يتأمله فى إمعان ، ثم قال فى صوت غلب عليه التأثر :

ـ اعمل على أن تعود إلينا سالمًا .

امتلأت ملامح (أدهم) بعزم قوى ، وهو يقول فى صوت غلبه الحماس :

ـ (مصر) أولًا يا سيدى .

وانطلق ليبدأ عمليته الجديدة ، فى مناخ تحت الصفر ..

* * *



٢ ــ الكمبيوتر ..

تذكّر (أدهم) حديث جاره الأستاذ (جميل) ، عن سوء المناخ فى القاهرة ، وهو يتطلّع عَبْر تلك النافذة الزجاجية البالغة الضخامة ، فى رَدْهة الفندق الذى يقيم فيه فى جزيرة (بافن) الكندية ، إلى الثلوج التى تمتد أمام عينيه إلى ما لانهاية ، وتغمر أسطح السيارات والمنازل ، وتغطى الطرقات برداء أبيض بارد ، وعلى الرغم من أجهزة التكييف القوية ، التى تملأ الفندق ، وعلى الرغم من الأخشاب المشتعلة فى مدفئته العميقة ، إلّا أن درجة البرودة داخله كانت تنخفض كثيرًا عن مثيلتها فى (القاهرة) .

ولقد شعر (أدهم) بمدى صعوبة مهمّته فى اليوم الأوّل لوصوله إلى (كندا) .. فلقد كانت جزيرة (إلسمير) ، التى يبتغى الوصول إليها ، تبدو فى هذا الوقت من العام كمنطقة محرّمة ، منعزلة ؛ إذ كان الوصول إليها يحتاج إلى الكثير من المخاطرة ، باختراق محيط متجمّد ، بالإضافة إلى ضرورة الحصول على تصريح خاصّ من شركة الصيد ، التى يملكها الملياردير

(هنريك إدوارد) ، بحكم كوْنها صاحبة الحق فى استغلال المكان ..

ولقد أبرق (أدهم) إلى الشركة ، يطلب مقابلة مديرها ، وصاحبها (هنريك إدوارد) منذ خمسة أيام ، قضاها فى فندقه ينتظر الجواب ، وقد كاد الملل يقتله ، ويعصف بكيانه ، حتى لقد راودته اليوم فكرة البحث عن وسيلة للتسلُّل إلى الشركة ، وانتزاع (هنريك) من مَقْعَده ، وإجباره على الاعتراف بأنه الرجل الذى يدير كل شبكات التجسُّس فى (مصر) ، إلّا أن الفكرة بدت له شديدة السخافة ، وهو يتطلّع إلى الثلوج فى تلك اللحظة ..

وبينما هو مستغرق فى أفكاره ، سمع من خلفه صوتًا هادئًا ، مهذّبًا ، يقول :

ــ مستر (أندريه صاند) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

استدار (أدهم) فى هدوء ، ليواجه محدّثه ، وهو يجاهد لإخفاء تلك اللهفة التى ملأت أعماقه ، والتى أنبأته أن لحظة العمل قد حانت ، بعد خمسة أيام من الخمول ، وتطلّع فى إمعان إلى وجه محدّثه الشاب ، الأشقر الشعر ، الأزرق العينين ، الهادئ الملامح .. ولقد بدت له تلك الملامح ذات طابع ألمانىّ أصيل ، قبل أن يستطرد الشاب فى هدوء :



استدار (أدهم) فى هدوء ؛ ليواجه محدثه ، وهو يجاهد لإخفاء تلك اللهفة التى ملأت أعماقه ..

ــ أقدم لك نفسى .. (فون دريك) .. مدير العلاقات العامة بشركة (إدواردز) لمصايد الأسماك القطبية .

مدّ (أدهم) يده يصافح الشاب فى هدوء ، وهو يقول بلغة فرنسية سليمة :

ــ يسعدنى لقاؤك يا هرّ (فون دريك) .

ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يردف بإنجليزية تحمل اللكنة الفرنسية :

ــ معذرة يا صديقى .. لقد نسيت أنكم تتحدثون الإنجليزية هنا .

ارتسمت على شفتى (فون دريك) ابتسامة رسمية مهذبة ، وهو يقول :

ــ لا بأس يا مستر (أندريه) .. إننى أجيد الفرنسية أيضًا .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يهتف :

ــ رائع .. دعنا نتحدث بالفرنسية إذن ، فأنا أخشى ألا تعاوننى إنجليزيتى على حسن الحوار .

هزّ (فون دريك) كتفيه ، وهو يقول بالفرنسية :

ــ كما يحلو لك يا مسيو (أندريه) .

قاده (أدهم) فى هدوء إلى مقعدين متجاورين بجوار المدفأة ، ومال نحوه يسأله فى اهتمام :

— ماذا أصاب شركتكم يا صديقى ؟.. إننى أنتظر جواب برقيتى منذ خمسة أيام !

عاد (فون دريك) يرسم على شفتيه تلك الابتسامة المهذّبة ، وهو يقول فى هدوء :

— معذرة يا مسيو (أندريه) ، فلم تصلنا برقيتك سوى أمس ، ولقد أمرنى مستر (هنريك) بالقُدوم إليك على الفور .

عاد (أدهم) يرفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— القُدوم إلىّ ؟!.. يبدو أنكم قد أسأتم فهم برقيتى يا صديقى ، فلقد طلبت أن أذهب أنا إليكم ، لا أن تأتوا أنتم إلىّ هنا !

اختفت ابتسامة (فون دريك) ، وهو يقول فى لهجة حادّة ، أقرب إلى الصرامة :

— ربّما أمكننا أن نمنحك ما تريد هنا يا مسيو (أندريه) ، ودون الحاجة إلى تجشيمك مشقّة الحضور إلينا ، فى هذا الطقس المروّع .

كان (أدهم) يتوقّع هذا الجواب ، وكذلك كانت

المخابرات المصرية تتوقّعه ، لذا فلم يبد أى أثر للإحباط أو الدهشة على وجه (أدهم) ، وهو يسترخى فى مقعده ، قائلاً :

— لا بأس .. لو أنك تملك حق إصدار القرار .

أجابه (فون دريك) فى برود :

— كلّى آذان صاغية يا مسيو (أندريه) .

زفر (أدهم) كرجل أعمال لا يرُوقه أسلوب التعامل معه ، وقال :

— حسنًا .. إنكم شركة كبرى ، ولكم فروع فى معظم دول (أوروبا) ، ولكن ماذا عن (آسيا) ؟

غمغم (فون دريك) فى حيْرة :

— ماذا تعنى يا مسيو (أندريه) ؟

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول فى حماس :

— ماذا لو أننى حصلت على حق توزيع منتجاتكم فى (آسيا) كلها : شرقها وغربها ، شمالها وجنوبها ؟ سيكون هذا رائعًا .. ستتذوّق (آسيا) الأسماك القطبية ، وتغرم بها ، و.....

قاطعه (أندريه) فى هدوء :

— الآسيويون لديهم ما يكفيهم من أسماكهم يا مسيو (أندريه) .. فهناك المصايد اليابانية للأسماك ، والتى تُعَدّ من أكبر مصايد الأسماك فى العالم ، ومصايد (هونج كونج) ، و (تايوان) ، و (فيتنام) ، ثم إنه هناك مصايد الأسماك القطبية السوفيتية ، و .....

قاطعه (أدهم) هذه المرّة فى حماس :

— سنهزم كل هذا يا صديقى .. سنحطمهم تحطيمًا .. سنبيعهم أسماكًا أجود ، وبسعر أقل .

عقد (فون دريك) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

— بسعر أقل من (تايوان) و (هونج كونج) ؟!

مال (أدهم) نحوه ، ورسم على وجهه علامات الخبث ، وهو يهمس فى لهجة من يكشف سرًّا بالغ الخطورة :

— إن لدىَّ خطّة رائعة .

ظل (فون دريك) يتطلّع إليه طويلاً ، فى نظرات بدت وكأنها تنفذ إلى ما تحت جلد (أدهم) ، الذى ظلّت ملامحه على حالها ، حتى غمغم (فون دريك) فى هدوء :

— كم تتصوَّر حجم تعاملك معنا سنويًا يا مسيو (أندريه) ؟

عاد (أدهم) إلى وضعه الأوّل ، وملأ ظهر مقعده بكتفيه العريضتين ، وهو يلوّح بكفّه ، قائلاً :

— مليار دولار .

رفع (فون دريك) حاجبيه فى دهشة بالغة ، وردّد فى حيرة :

— مليار دولار ؟!

ثم شبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، وعقد حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يقول فى هدوء :

— لست أعتقد أننى أملك حق اتخاذ القرار فى صفقة ضخمة إلى هذا الحجم يا مسيو (أندريه) .

لوّح (أدهم) بذراعيه ، وهو يقول :

— هذا ما كنت أقصده ، حينما أخبرتك أنه من الضرورى أن أذهب أنا إليكم .. إن حجم الصفقة يستلزم مناقشتها مع مسيو (هنريك) نفسه .

مرّة أخرى عاد (فون دريك) يتطلّع إلى (أدهم) طويلاً ، ثم همّ بالنهوض ، وهو يقول :

— حسنًا يا مسيو (أندريه) ، سأبلغ مسيو (هنريك) بالأمر ، و .....

هتف (أدهم) فى لهجة الرجل الذى نفد صبره :

— يا إلهى !!.. لقد أضعنا خمسة أيام كاملة .

ابتسم (فون دريك) هذه المرّة ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا مسيو (أندريه) .. لن تشرق شمس الغد إلا وأنت فى (السمير) .

* * *

عقد (هنريك إدوارد) حاجبيه ، وهو يستمع إلى (فون دريك) فى اهتمام ، ثم مال إلى الأمام وهو يسأل :

ــ مليار دولار ؟!.. ألا يبدو لك الأمر مثيرًا للشكّ ؟

لوّح (فون دريك) بذراعه ، وهو يقول :

ــ يبدو أنه شديد التفاؤل بالنسبة لنجاح مشروعه .

أومأ (هنريك) برأسه بلا معنى ، قبل أن يغمغم :

ــ هذا إذا ما كان هناك ملياردير فرنسى بهذا الاسم حقًا .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

ــ لقد تحرّيت هذه النقطة بالذات يا هرّ (هنريك) ، خلال الأيام الخمسة الماضية ، ولقد وجدت أنه يوجد بالفعل ملياردير فرنسى يدعى (أندريه صاند) ، ولكننا لم نحصل على صورته بعد .

بدا الاهتمام على وجه (هنريك) ، وهو يقول :

ــ وهل حصلت على صور الرجل الذى قابلته ؟

أومأ (فون دريك) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. لقد قام (جونج) بعمل رائع ، والتقط خمس صور فوتوجرافية واضحة للرجل ، حينما كنت أتحدث إليه فى الفندق ، وهاهى ذى .

وأعقب قوله بالتقاط الصور الخمس من جيب معطفه ، وتسليمها لـ(هنريك) ، الذى تأمّلها فى إمعان ، قبل أن يقول :

ــ حسنًا .. فلنرَ ماذا يقول عنه الكمبيوتر ؟

ثم دفع أكثر الصور وضوحًا داخل تجويف خاصّ ، فى جهاز كمبيوتر حديث ، وضغط أزراره وهو يقول :

ــ سيدهشنى لو جاءت إجابة الكمبيوتر سلبية .

ثم لم تلبث عيناه أن تألّقتا على نحو مخيف ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة فجّرت قنبلة من القلق فى أعماق (فون دريك) ، وهو يقول :

ــ يبدو أننا قد وقعنا على صيد أكبر مما كنّا نتوقّع يا عزيزى (فون دريك) .

قفز (فون دريك) من مقعده ، ودار حول مكتب (هنريك) فى خفة ، ليتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، التى ارتسمت فوقها

صورة واضحة لـ (أدهم صبرى) ، بدون الشارب الضخم ، والمنظار الطبّى ، اللذين أخفى بهما ملامحه ، وهو يستقبل (فون دريك) ، وتحت الصورة كلمات تقول :

ـ الاسم : (أدهم صبرى) .. المهنة : ضابط مخابرات مصرى .. الصفة المميّزة : أخطر ضابط مخابرات فى العالم .

* * *

امتقع وجه (فون دريك) ، وغمغم فى صوت شاحب مختنق :

ـ يا للشيطان !!

أما (هنريك) ، فقد أخذ يقرأ المعلومات المرتسمة على شاشة الكمبيوتر فى صوت مسموع ، دون أن تختفى ابتسامته :

ـ الرمز الكودى : (ن ـ ١) .. لم يتعرّض لهزيمة واحدة طوال عمله فى المخابرات المصرية .. تسعى خلفه كل التنظيمات الإجرامية القوية فى جميع أنحاء العالم .. لا يميل إلى إراقة الدماء ، ولكنه فائق الذكاء ، بالغ القوّة والجرأة والجسارة .. لم يمكن حصر كل المهارات التى يجيدها .. فشلت كل محاولات التخلّص منه .

ثم التفت (هنريك) إلى (فون دريك) ، مستطردًا فى برود :

ـ إذن فهو رجل أعمال متفائل يا صديقى .

وأطلق ضحكة شيطانية مخيفة ، ازداد لها امتقاع وجه (فون دريك) ، قبل أن يستطرد :

ـ رائع هو جهاز الكمبيوتر هذا .. إنه يدرس الملامح فى دقّة ، ويكشف صاحبها ، مهما أتقن تنكّره .. إنه يستحق المبلغ الضخم ، الذى أنفقته للحصول عليه .. ولأوّل مرّة أشعر أن المعلومات التى نشتريها من (الموساد) تستحق ثمنها .

هتف (فون دريك) فى شحوب :

ـ سنرفض قدومه إلى هنا بالطبع .

أطلق (هنريك) ضحكة أخرى قويّة ، ثم قال :

ـ يا للشيطان !! .. أتتظاهر بالغباء يا (فون) ، أم أن هذه حقيقتك ؟.. إن قدوم أخطر ضابط مخابرات مصرىّ إلى هنا ، يعنى أن المصريّين قد توصّلوا إلى أننا خلف كل شبكات التجسّس ، التى أوقعوا بها فى الشهور الخمسة الأخيرة .. ونحن لا ندرى ماذا لديهم فوق ذلك ، وهذا يعنى ضرورة إحضار ضابطهم إلى هنا .

هتف (فون دريك) فى استنكار :

ــ وماذا لو نجح فى معرفة سرّنا الأكبر ؟

هزّ (هنريك) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ــ سيكون عليه حينئذ أن يغادر (إلسمير) ، لينقل ماعرفه إلى رؤسائه ، ومغادرة الجحيم أكثر صعوبة من دخوله يا عزيزى .

وفى هذه المرّة شاركه (فون دريك) ضحكته الشيطانية ..

* * *



٣ ــ أنفاس من ثلج ..

جاء الصباح التالى قارص البرودة ، وتدنّت درجة الحرارة حتى بلغت الأربعين تحت الصفر ، ولكن ذلك لم يمنع هبوط الهليوكوبتر ، الخاصّة بشركة (إدواردز) لمصايد الأسماك القطبية ، فى ساحة الفندق ، الذى يقيم فيه (أدهم) ، الذى شعر بالبرودة تكاد تجمّد أنفاسه ، وهو يستقبل (فون دريك) ، هاتفًا :

ــ مرحبًا يا صديقى .. هل أتيت لتصحبنى إلى رئيسك ؟

ابتسم (فون دريك) ابتسامة لم ترُق لـ (أدهم) ، وهو يقول :

ــ إنه ينتظرك فى لهفة يا مسيو (أندريه) .

وتبعه (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، التى بدت وكأنها كُرة من الثلج ، وهى ترتفع فى طريقها إلى (إلسمير) ، فى حين قال (فون دريك) فى برود ، يفُوق برودة الطقس :

ــ سيكون عليك احتمال البرودة طوال ساعة كاملة يا مسيو (أندريه) ، فنحن لانستخدم أجهزة التكييف داخل

الهليكوبتر ، إذ يؤدى استخدامها إلى تكاثف البخار على زجاجها ، وهذا يعوق قائدها عن الرؤية .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ــ إننى أقدر هذا .

وبعدها لم يتبادل كلمة واحدة مع (فون دريك) ، طوال رحلتهما إلى (إلسمير) ، حتى هبطت بهم الهليكوبتر فى مهبطها الخاص ، على سطح مبنى الشركة ، فغادرها (فون دريك) و (أدهم) ، الذى غمغم فى سخط ، وكأنه رجل أعمال يعتز بثرائه :

ــ لماذا لم يستقبلنى مسيو (هنريك) ؟

ابتسم (فون دريك) فى خبث ، وهو يقول :

ــ لا تتعجّل يامسيو (أندريه) ، سيتم كل شىء فى موعده .

هبط الاثنان بواسطة مِصْعَد صغير إلى الطابق الثالث من المبنى ، وشعر (أدهم) لأوّل مرّة ، منذ وصوله إلى (كندا) ، بالدفء ، فهتف فى انبهار مصطنع :

ــ يا إلهى !!.. إن الأمر يبدو وكأننا قد انتقلنا فجأة إلى

(أكابولكو)(*) ، وقفز بنا الزمان إلى شهر يوليو .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

ــ لقد تكلّفت أجهزة التكييف هنا عشرة ملايين دولار .

رفع (أدهم) حاجبيه، وفتح عينيه عن آخرهما، وألقى فكّه السفلى إلى أسفل، شأن الرجل الذى ملأته الدهشة، وهتف:

ــ عشرة ملايين دولار لأجهزة التكييف فقط ؟ لا ريب أن مسيو (هنريك) بالغ الثراء !!

غمغم (فون دريك) فى هدوء :

ــ هذا صحيح .

توقّف بهما المِصْعَد فى الطابق الثالث ، وفوجئ (أدهم) بأربعة رجال يصوّبون مسدّساتهم نحوه ، وهو يغادر المِصْعَد ، فهتف فى استنكار :

ــ ماذا يعنى هذا بحقّ السماء ؟

أشار (فون دريك) إلى الرجال الأربعة، فخفضوا فوّهات مسدّساتهم، وأعادوها إلى أحزمتهم، وقال هو فى هدوء :

(*) أكابولكو : مصيف شهير فى (المكسيك) ، يطلق عليه اسم (مصيف الأثرياء) .

— إنه إجراء أمن عادى يا مسيو (أندريه) .. فلو أننى لا أصحبك ، لكان عليهم إطلاق النار بلا تردُّد .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— إجراء عجيب ، خاصّة وأن جزيرة (إلسمير) تُعَدُّ مغلقة تقريبًا .

مطّ (فون دريك) شفتيه ، وهو يقول فى برود :

— يمكنك أن تقول إن مسيو (هنريك) شديد الحرص .

غمغم (أدهم) ، وهو يخطو عَبْرَ الممر ، الممتد أمام المصعد :

— نعم .. إلى درجة مبالغ فيها للغاية .

وفجأة .. ارتفع رنين أجراس قوية ، وانتزع الحرّاس الأربعة مسدساتهم فى حركة سريعة ، وارتسمت على وجوههم شراسة رهيبة ، وهم يصوّبونها نحو (أدهم) ، فى حين قال (فون دريك) بابتسامة باردة :

— لقد خالفت تعليمات الأمن يا مسيو (أندريه) .. إنك تحمل سلاحًا أسفل معطفك .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وأخرج من جيب معطفه مسدسًا كبيرًا ، ناوله لـ (فون دريك) ، وهو يقول :

— إنك لم تخبرنى أن هذا ممنوع .. إننى أحمل مسدسى الخاصّ دائمًا .. إنه ضرورىّ بالنسبة لرجل أعمال مثلى .

التقط (فون دريك) المسدس فى هدوء ، وعقد حاجبيه حينما وجد أنه فرنسى الصُّنع ، ثم أشار إلى الرجال الأربعة مرّة أخرى ، فعادوا يخفضون أسلحتهم ، وأوقف أحدهم رنين الأجراس المزعج ، على حين استطرد (أدهم) فى هدوء :

— إذن فأنتم تستخدمون ذلك الجهاز السخيف ، الذى يستخدمونه فى المطارات .. لقد بدأت أميل إلى أن مسيو (هنريك) هذا مصاب بالوسواس القهرى .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

— احترس يا مسيو (أندريه) .. إنه يسمعك الآن فى وضوح ، عَبْرَ أجهزة دقيقة ، تختفى فى نقوش الحائط ، ترسل إليه صورتك وصوتك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغمغم :

— هذا طريف .

ثم توقّف أمام الحجرة الوحيدة فى نهاية الممرّ ، واستطرد فى هدوء :

— لو سِرْنا طبقًا للقواعد ، فستكون هذه هى حجرة الزعيم .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تحرّك باب الحجرة فى هدوء ، وظهر خلفه رجل وسيم ، أسود الشعر ، فيما عدا فوديْن وخطهما الشيب ، يشيران إلى عمره الذى تجاوز الخامسة والأربعين بعام أو بعض عام ، وابتسم الرجل ، وهو يقول فى هدوء شديد :

— مرحبًا بك فى شركتى يامستر (أندريه) .. أقدّم لك نفسى .. أنا (هنريك إدوارد) .

صافحه (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— يُسعدنى لقاؤك يامستر (هنريك) ، ولكننى أعترض كثيرًا على أسلوبك فى استقبال ضيوفك .

لم تبد على ملامح (هنريك) أية تغيرات ، سوى أنه أغلق عينيه وفتحهما بلا مبرّر ، ثم أفسح الطريق لـ (أدهم) ، وأشار إليه بالدخول ، وهو يقول :

— سنناقش هذا فيما بعد يامستر (أندريه) .

دخل (أدهم) إلى حجرة المكتب الفاخرة ، وتبعه (فون دريك) ، ثم أُغلق الباب خلفهما فى هدوء ، فابتسم (أدهم) وهو يقول :

— يبدو أنك مُغرم بالآليات يامسيو (هنريك)

أجابه (هنريك) فى هدوء :

— إلى حدّ الجنون يامستر (أندريه) .. إننا نحيا فى الربع الأخير من القرن العشرين ، ولقد أصبح كل شىء يدار بالكمبيوتر .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :

— إننى أفضّل الوسائل القديمة .

ابتسم (هنريك) ، وهو يقول :

— ولكن الوسائل الحديثة أكثر سرعة وفعالية يامستر (أندريه) .. إنها تجعلك تلمس العالم بأصابعك ، دون أن تفارق مقعدك .

ثم استقرّ خلف مكتبه الأنيق ، قبل أن يستطرد فى برود :

— ألا توافقنى على هذا يا .... يا (ن — ١) ؟

تحفّزت عضلات (أدهم) كلها ، حينما سمع (هنريك) يخاطبه بلقبه السّرّى ، وندّت منه حركة تُوحى باستعداده للانقضاض على (هنريك) بلا تردُّد ، لولا أن ارتفع صوت (فون دريك) من خلفه ، يقول :

— لاتحاول يامستر (أدهم) .. إن مسدّسى مصوّب إلى

رأسك مباشرةً ، وسأشعر بسعادة جمّة لو اضطررتنى لإطلاق رصاصاته عليه .

* * *

لا أحد يمكنه أن يتصوّر مدى الحنق ، والسّخط ، والغضب ، والإحباط فى أعماق (أدهم) ، فى تلك اللحظة ..

لقد رأى الخُطّة المُحْكَمة ، التى أعدّتها المخابرات المصرية ، فى براعة منقطعة النظير ، تنهار فجأة ، دون أن يدرى لذلك سببًا .. ولقد ملأ هذا نفسه بكل تلك المشاعر السابق ذكرها ، إلا أن ملامحه ظلّت هادئة ، وأضيفت إليها ابتسامة ساخرة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلا :

ـ خُدعة طريفة أيها الوغدان .. والآن ماذا تنتظران أن أفعل ؟.. أأفقد الوعى ، أم ألهب كفّىّ بالتصفيق ؟

ابتسم (هيريك) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لا هذا ولا ذاك يا مستر (أدهم صبرى) .. كل ما نريده منك هو أن تجلس هادئًا ، وتخبرنا بكل ما لدى المخابرات المصرية بشأننا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول متهكّمًا :

ـ هل أخبرتك آمالك أنى سأفعل ذلك بهذه البساطة أيها الوغد ؟

هتف (فون دريك) فى حنق :

ـ ستفعل أو أطلق النار على رأسك .

استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض بالتحدّى ، جعلت المسدّس يرتعد فى يديه ، حينما خرج صوت (أدهم) من بين شفتيه قاسيًا كالصلب ، باردًا كالثلج :

ـ إننى أكره أسلوب التهديد أيها الألمانىّ .. أطلق مسدّسك أو أعِدْهُ إلى جيبك .

احتقن وجه (فون دريك) فى شدة ، وهو يهتف فى غضب :

ـ ستُوردك صفاقتك هذه مورد التّهْلُكة أيها المصرى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة أخرى ، زادت من حنق (فون دريك) وغضبه ، قبل أن يقول :

ـ حاول ألا تجعل صوتك مرتجفًا هكذا ، وأنت تلقى التهديدات أيها الوغد .

صرخ (فون دريك) فى غضب هادر :

ـ سأقتلك .. سأقتلك ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى .

ودوّى فى الحجرة صوت طلق نارى ، أصاب هدفه فى إتقان ..

* * *



استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، وواجهه بنظرة تفيض بالتحدى ، جعلت المسدس يرتعد فى يديه ..

٤ ــ الهــدف ..

لو أن فنانًا مغمورًا أراد أن يرسم لوحة متميِّزة ، تقفز به إلى عالم الشهرة والخلود ، وتحمل اسم (الذهول) ، ما كان عليه إلّا أن يحمل ريشاته وألوانه ، وينتقل إلى حجرة (هنريك) ، ويعمل جاهدًا على نقل ملامح هذا الأخير ، وملامح معاونه (فون دريك) فى لوحته ؛ فقد كان كلاهما فى تلك اللحظة صورة مجسَّمة للذهول ، وهما يحدقان فى ذلك المسدس ، الذى يمسك به (أدهم) فى استخفاف ، والذى التقطه من جيب معطفه فى سرعة مذهلة ، وأطلق منه تلك الرصاصة الصائبة ، التى أصابت هدفها فى إتقان ، وطوَّحت بمسدس (فون دريك) إلى الركن البعيد من الحجرة ..

ومضت فترة من الصمت ، بدت خلالها ابتسامة (أدهم) الساخرة وكأنها تملأ الحجرة ، قبل أن يهتف (فون دريك) فى ذُهول :

ــ ولكنّ جهاز كشف الأسلحة قد ......

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ ألم أقل لكما إننى أفضّل الوسائل القديمة ؟.. إن هذا المسدّس مصنوع بأكمله من البلاستيك ، حتى رصاصاته كلها من البلاستيك المقوّى ، وهو أحدث صيحة فى عالم الأسلحة ، المعدّة خصيصًا لخداع جهازكم الحديث .. ولو أنكم اكتفيتم بتفتيشى يدويًا ، لعثرتم على المسدّسين ، ولكنت الآن أعزل .

غمغم (هنريك) فى حنق :

ـ لن يمكنك أن تغادر هذه الحجرة حيًا ، فرجالى الأربعة فى الخارج ....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ـ بمناسبة ذكر أوغادك الأربعة ، كيف اتفق أنهم لم يهرعوا إلى هنا فور سماعهم الطلق النارى ؟.. أليس هذا من صميم عملهم ؟

احتقن وجه (هنريك) ، وهو يقول :

ـ إن جدران مكتبى عازلة للصوت .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

اكتست ملامح (هنريك) فجأة بصرامة مخيفة ، وهو يقول :

ـ لو أنك تتصوّر أن مسدّسك سيجعلك تحصل منّى على حرف واحد فأنت ......

قاطعه (أدهم) مرّة أخرى فى برود :

ـ ومن قال إننى أنوى أن أفعل ذلك ؟

تطلّع إليه (هنريك) و (فون دريك) فى دهشة ، وتحوّلت دهشتهما إلى رجفة قوية ، حينما صوّب مسدّسه إلى رأس (هنريك) ، قائلًا فى برود :

ـ لقد أتيت إلى هنا لهدف يختلف أيها الوغد .. وهذا الهدف يقتصر على قتلك بلا رحمة ..

* * *

كان (أدهم) يتوقّع أن ينهار (هنريك) إزاء هذا الموقف ، على الرغم من الصرامة البادية فى ملامحه ، إلّا أن (هنريك) تطلّع إليه فى دهشة لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى هدوء ، ثم غمرت ابتسامته وجهه كله ، قبل أن تتحوّل إلى ضحكة قويّة ، أثارت دهشة (فون دريك) بأكثر مما فعلت بـ (أدهم) ، قبل أن يقول (هنريك) فى سخرية :

ـ إنك لن تخيفنى بهذا التهديد يا مستر (أدهم) ، ولن تخدعنى به أيضًا .. فلقد نقل إلىّ الكمبيوتر كل ما تتصف به ،

ولقد أكد أنك تكره إراقة الدماء ، وأنا أصدق كل ما تأتى به الأجهزة الحديثة يا مستر (أدهم) .. ألم أقل لك إننى مُغرم بالآليات إلى حدّ الجنون ؟

حافظ (أدهم) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ــ ألم تنقل إليك آلياتك اللعينة ، أننى أهوى تحطيم أنوف من يرفضون الانصياع لأوامرى أيها الوغد ؟

مطّ (هنريك) شفتيه فى أسف ، وجلس على مقعده الكبير خلف مكتبه ، وبسط كفّيه على سطح المكتب ، وهو يقول :

ــ إننى أكره أن يفعل بى أى مخلوق هذا .

وزفر فى عمق ، ثم أشار إلى (أدهم) فى استسلام ، مردفًا :

ــ تقدّم يا مستر (أدهم) .. سأخبرك بكل ما ترغب فى معرفته .

تقدّم (أدهم) خطوة واحدة إلى الأمام ، ثم توقّف فجأة حينما أدرك أن استسلام (هنريك) السريع يدعو للريبة والشك ، ولكنه أدرك ذلك متأخرًا لسوء حظّه ..

كانت هفوة من (رجل المستحيل) ، لم تستغرق سوى جزء من الثانية ، ولكن هذا الوقت الضئيل كان يكفى (هنريك) ،

ليضغط براحته على حافة مكتبه ، فتنفتح فجوة أسفل قدمىْ (أدهم) ، الذى وجد جسده يهوى داخل أسطوانة واسعة مظلمة ، قبل أن تُغلق الفجوة فوقه فى سرعة ..

* * *

اقترن سقوط (أدهم) ، فى تلك الهُوّة العميقة المظلمة ، بضحكة شيطانية ساخرة شامتة ، أنجبتها حنجرة (هنريك) ، وأطلقتها شفتاه ، وهو يضرب سطح مكتبه براحته ، صائحًا فى زهو :

ــ يا للأحمق المغرور !! هل كان يتصوّر أنه سيهزم الأسد فى عرينه ؟

شاركه (فون دريك) ضحكته بمزيد من الانفعال ، قبل أن يشير إلى حيث سقط (أدهم) ، هاتفًا :

ــ ها هى ذى نهاية الشيطان ، الذى هزم أعظم وأقوى منظمات الجاسوسية والإجرام فى العالم .. سيقضى نحبه جوعًا وعطشًا فى قبو مظلم ، على عمق خمسة عشر مترًا فى باطن الأرض .

لوّح (هنريك) بذراعه ، وهو يضحك قائلاً :

ــ أراهنك أنه لن يقضى نحبه جوعًا وعطشًا ، فالقبو غير مكيّف الهواء ، وستبلغ درجة برودته الثلاثين تحت الصفر على

الأقل .. أضف إلى ذلك أنه مُحكَم الإغلاق ، وستجد أن صاحبنا لن يحتمل إلا يومًا واحدًا على الأكثر .

عاد القلق يكسو وجه (فون دريك) ، وهو يغمغم :

ــ ولكن كيف نبرّر عدم عودته إلى (مافن) ؟

ملأ (هنريك) وجهه بابتسامة هادئة واثقة ، وهو يقول :

ــ اترك لى هذا الأمر .

ثم أردف وقد ازدادت ابتسامته اتساعًا :

ــ يمكنك أن تغلق ملف (أدهم صبرى) هذا إلى الأبد ..

* * *

من حُسن حظ (أدهم)، أو من سوء تخطيط (هنريك)، أن الأسطوانة التى انزلق داخلها ، حتى وصل إلى ذلك القبو المظلم ، على عمق خمسة عشر مترًا فى باطن الأرض ، كانت مائلة بزاوية قدرها عشرين درجة على الاتجاه العمودىّ ، فلو أنها عموديّة تمامًا ، لتحطّم جسده وهو يهوى من ارتفاع ثلاثة طوابق ، إلى عمق كهذا .. أما مع ذلك الميل البسيط ، فقد انزلق جسده على حافة الأسطوانة الداخلية ، حتى أنه لم يسقط على نحو عمودىّ إلا عبر عشرة أمتار فقط ، ولولا مرونته ، التى جعلته يثنى ركبتيه ، حينما ارتطم بالأرض ، ما نجا من تحطّم ساقيه وتهشّمهما ..

وكان القبو مظلمًا تمامًا ، ورطبًا وباردًا كالثلج ، حتى أن عظام (أدهم) كادت تئن من شدة البرودة ، ولقد كشف منذ الدقائق الأولى ، أنه ليس أول ضحيّة لقبو الجحيم هذا ، فلقد تحسّست أصابعه جثتين متجمدتين ، حفظتهما البرودة الشديدة من التحلّل والفناء ، لضحيتين سبقتاه إلى هذا المصير الأسود .. ولقد أثار هذا اشمئزازه وحنقه إلى نحو كبير ، وفجّر فى أعماقه ينابيع الغضب ، مما جعل ذلك الهدف الذى أخبر به (هنريك) يتحوّل إلى هدف حقيقى ..

لقد قرّر ألا يهدأ له بال حتى يقضى على (هنريك إدوارد) ، وعلى منظمته كلها .. أيًا كانت أهدافها ..

ولكن عليه أوّلًا أن يغادر قبو الجحيم ..

ولكن كيف ؟..

* * *



٥ ـ قَبْوُ الجحيم ..

كان الموقف بالغ الصعوبة ، شديد التعقيد ، حتى مع المعلومات التى اختزنها عقل (أدهم) ، وسط هذا الظلام الدامس ..

كان يعلم أنه يقف أسفل الفتحة السُّفلى للأنبوب الأسطوانى ، الذى انزلق على حافته الداخلية الملساء ، المائلة بقدر عشرين درجة ، والتى ترتفع على نحو مستقيم طوال ما يقرب من ستة عشر مترًا ، فى نعومة تجعل التسلُّق خلالها مستحيلاً ..

كانت هذه المعلومات تكفى لإصابة أشجع الرجال باليأس والإحباط ، خاصةً مع إضافة الظلام الدامس ، والبرد القارص ..

ولكن هذا لا ينطبق على رجل مثل (أدهم صبرى) ..

رجل يلقَّب بـ (رجل المستحيل) ..

وفى هدوء .. جذب (أدهم) جثتى الضحيتين السابقتين ، ووضع إحداهما على ظهرها ، عند موضع قدميه تمامًا ، ثم رفع الأخرى ليضعها فوقها ، وهو يقاوم الاهتزاز الذى انتابه ،

ويحاول إقناع نفسه بالقاعدة القديمة ، التى تقول : « الحىّ أبقى من الميِّت » ..

ثم خلع معطفه ، على الرغم من البرودة الشديدة ، ومزّقه إلى نصفين ، لفّهما حول عنقه ، وتراجع بخطوات واسعة إلى الخلف ، وهو يحصى خطواته ، حتى بلغت خمس خطوات كاملة ، قبل أن يلامس ظهره جدار القَبْو الرطب ، البارد كالثلج ..

وهنا التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، وانطلق فجأة كالرصاصة ، وقفز تمسّ قدمه الجثتين من أعلى ، ثم دفع جسده بكل ما يملك من قوة وإصرار إلى أعلى ..

وكانت قفزة رهيبة ، لم يقدِّر سوى للجثتين الباردتين حضورها ..

قفزة يمكن اعتبارها مستحيلة ، حتى بالنسبة للأرقام القياسية ، التى يحطِّمها أبطال الأوليمبياد فى فخر واعتزاز ..

قفزة جعلته يصعد إلى سقف القَبْو كالصاروخ ، ويتعلَّق بالفتحة السُّفلى للأنبوب الأسطوانىّ ، الذى بدا أشبه بنصل للجى حادّ ..

ومضت ثانية واحدة ، و (أدهم) معلَّق بحافة الفتحة السفلى ، ثم انقبضت عضلات ذراعيه الفولاذية ، وعاونت جسده على الصعود إلى داخل الأسطوانة ..



قفزة جعلته يصعد إلى سقف القبو كالصاروخ ،
ويتعلّق بالفتحة السُّفلى ..

وهنا انتزع (أدهم) نصفى معطفه الممزّق عن عنقه ، ولفّ النصف الأوّل حول قدميه فى إحكام ، ثم ربط النصف الثانى حول وسطه ، بحيث جعل الجزء الأعظم منه خلف ظهره ، وبعدها دفع قدميه فى جدار الأسطوانة فى قوة ، ودفع ظهره فى الجدار المقابل ، وبدأ يصعد ..

كانت عملية شاقة للغاية ، فقد كانت جدران الأسطوانة ناعمة زلقة ، وكان عليه أن يتشبّث ، ويدفع جسده إلى أعلى بقوة تفوق قوة رياضى متفوّق .. وبعزيمة لا تقل عن عزيمة رجل صبور ، قرّر أن ينقل أحجار جبل ضخم من موضعها وحده ..

وكان الخطأ الواحد هنا يعنى أن يهوىَ جسده مرّة أخرى إلى قبو الجحيم ..

وهذا يعنى الهلاك هذه المرّة ..

واستغرق الأمر ساعة كاملة ..

ساعة كادت خلالها عضلاته تتجمّد من فرط البرودة ، لولا المجهود الشاق الذى يبذله ، والذى جعل تدفّق الدماء فى عروقه يعوقها عن التجمّد ..

وأخيرًا .. وصل (أدهم) إلى الفجوة المغلقة ، التى بدأ منها انزلاقه ، وحافظ على جسده فى موضع الثبات ، بدفع

قدميه وظهره فى جدارى الأسطوانة المتقابلين ، وحاول أن يدفع باب الفجوة المغلق بقبضتيه ، فوجد أنه يحتاج إلى دفعة قوية مركَّزة ، فاستجمع ما بقى لديه من قوة ، ودفع الباب الصغير ، وقفز إلى حجرة مكتب (هنريك) ، وشهر مسدسه المصنوع من البلاستيك فى حركة سريعة ، ولكنه فوجئ بمسدسات رجال (هنريك) الأربعة مصوَّبة إلى صدره ، من أربع جهات مختلفة ، ورأى هذا الأخير يجلس هادئًا خلف مكتبه ، وإلى جواره (فون دريك) ، وسمع (هنريك) يقول فى هدوء :

— مرحبًا يا مستر (أدهم) .. أهنئك .. إننا ننتظرك منذ ساعة كاملة .

* * *

كان وضع الرجال الأربعة مُحْكَمًا ، بحيث تصعب إصابتهم بالسرعة المطلوبة ، قبل أن يطلق أحدهم رصاصة صائبة ، خاصةً وأن جسد (أدهم) كان قد بلغ ذِروة الإجهاد ، بعد ما بذله من مجهود شاق لصعود الأسطوانة الزَّلقة ، فخفض فوَّهة مسدسه ، وجاهد ليرسم على شفتيه أكثر الابتسامات سخرية ، وهو يواجه (هنريك) ، قائلًا :

— إذن فقد كنت تعلم أننى فى طريقى إلى هنا !

رفع (هنريك) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

— منذ اللحظة الأولى يا مستر (أدهم) .

ثم لوَّح بذراعه ، مستطردًا فى زهو :

— إنها الآليات الحديثة يا عزيزى ، فذلك القبْو مزوَّد بآلة تصوير خاصة ، ترسل إلىَّ الصور التى تلتقطها فى الظلام ، بواسطة الأشعة تحت الحمراء .. ولقد نقلت إلىَّ كل ما فعلته هناك ، وأُصْدِقُك القول إنك رجل متفوِّق ، غير عادىّ .. فتلك القفزة الرهيبة ، التى أوصلتك إلى فتحة الأسطوانة ، جعلتنى أشهق ذهولًا ، وكاد صديقنا (فون دريك) يفقد وعيه ، وطالبنى وهو يكاد يبكى بأن أطلق قاذفات اللهب داخل الأسطوانة ، لأشويك حيًّا ، ولكننى فضَّلت أن أمنحك فرصة كاملة ، فلقد كنت متلهِّفًا لمعرفة ما إذا كنت ستنجح حتى النهاية أم لا ، فأنا رجل شديد الفضول ، بقدر ما أنا شديد الحرص يا مستر (أدهم) .

برقت عينا (أدهم) ، على نحو أثار الرَّجفة فى أوصال (فون دريك) ، وهو يقول فى هدوء :

— ستندم يومًا على أنك لم تستمع إلى نصيحة ذلك الوغد الألمانىّ يا (هنريك إدوارد) .

أما (هنريك) ، فقد أطلق ضحكة ساخرة ، عند سماعه عبارة (أدهم) ، وشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يسند مرفقيه إلى مسندى مقعده الكبير ، قائلًا فى هدوء :

— إن الندم شعور لم يخامرنى قطّ ، طوال حياتى يا مستر (أدهم) ، فأنا أعدّ لكل شىء عدته ، وأتحسّب لكل الظروف .. وعلى سبيل المثال ، لقد أسقطت الهليوكوبتر ، التى أتت بك إلى هنا وسط الثلوج ، وأبلغت فندقك فى (بافن) بالحادث المؤسف ، الذى سبّبه سوء الأحوال المناخية ، فى هذا الوقت من السنة ، وأعلنت عن استعدادى لدفع التعويض المناسب لورثتك ، باعتبار أنك (أندريه صاند) ، كما تؤكّد سجلّات الفندق ، وسيكشف هذا حقيقتك بالطبع ، حينما يجدون أن (أندريه صاند) الحقيقى حىّ يُرزق ، وسيجعل هذا التحقيق يميل إلى جانب آخر ، بعيدًا عن شركتى ومنظمتى .. وهكذا ينتهى كل شىء فى هدوء .

أجابه (أدهم) فى برود :

— وهل تظن أن المخابرات المصرية ستغفر لك ذلك ؟

ابتسم (هنريك) وهو يقول :

— سيّان لو فعلوا أو لم يفعلوا يا مستر (أدهم) .. لا تنس أننى ألعب فى ملعبى أنا ، وأننى أملك كل أوراق اللّعبة .

سأله (أدهم) بنفس البرود :

— وما الذى تنوى أن تفعله معى الآن ؟

هزّ (هنريك) كتفيه فى لامبالاة ، ثم قال فى هدوء :

— سنعيدك إلى القبو يا مستر (أدهم) ، ولكن جثة هامدة هذه المرّة .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا فى برود :

— أطلقوا النار .

* * *



٦ ـ بين أنياب الأسد ..

فضّ مدير المخابرات المصرية تلك البرقية ، التي وصلت على الفور من (كندا) بأصابع تملؤها اللهفة ، وجرت عيناه على كلماتها في اهتمام بالغ ، ثم لم تلبثا أن اتسعتا في جزع وذعر ، وهو يهتف :

ـ يا إلهي !!.. مستحيل !!

قفزت (منى توفيق) من مقعدها في جزع ، وخفق قلبها في قوة ، حتى كاد يقفز من بين ضلوعها ، وهي تهتف بصوت مرتعد :

ـ ماذا ؟.. ماذا حدث ؟

حدّق مدير المخابرات في وجهها لحظة ، قبل أن تخرج الكلمات من بين شفتيه دامعة ، منكّسة ، حزينة ، وهو يقول :

ـ لقد خسر (أدهم) عمليته هذه المرّة .

انقبض قلب (منى) في قوة ، وخيّل إليها أن أنفاسها تعجز عن ملء صدرها ، وهي تقول في صوت مختنق :

ـ هل أصابه مكروه ؟

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا في بطء ، قبل أن يغمغم في حزن :

ـ لقد قُتل .

اتسعت عينا (منى) في ذعر ولوعة ، وتراجعت إلى الخلف ، وهي ترفع راحتها إلى وجهها في ألم ، وشحبت حتى بدت أشبه بالموتى ، وهي تردّد :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

ثم دفنت وجهها في راحتيها ، وهي تهتف في ألم :

ـ مستحيل أن ينتهي (أدهم) على هذا النحو !!

صاح بها مدير المخابرات في صرامة ، لم تخفِ نبرة الحزن في كلماته :

ـ كفى أيتها النقيب .. إننا لسنا موظفين إداريين في وزارة حكومية .. إننا رجال مخابرات ، نحمل أرواحنا على أكفّنا في كل خطوة نخطوها ، ومن النادر أن يصل أحدنا إلى سنّ التقاعد .

أدهشه أن جفّت دموعها على الفور ، وكأنما محتها كلماته محوًا ، وتسلّلت إلى صوتها نبرة قوية ، ممتلئة بالعزم ، وهي تسأله :

ــ أهذا الأمر مؤكَّد على نحو لا يقبل الشكّ ياسيِّدى ؟
هزّ كتفيه ، وهو يقول فى أسى :
ــ تقريبًا أيتها النقيب .. لقد كان لنا عميل آخر فى فندق (بافن) ، نطلق عليه اسم (عميل التغطية) ، ومهمّته تقتصر على إبلاغنا بكل التطوُّرات ، التى تحدث للعميل الأصلىّ .. ولقد أبلغنا هذا العميل بذهاب (أدهم) إلى (إلسمير) ، حيث شركة (هسريك) ، ثم أبرق إلينا الآن يقول إن الهليوكوبتر ، التى أقلّت (أدهم) إلى (إلسمير) ، قد تحطّمت .. وأن (ن ــ ١) قد لقى مصرعه فى الحادث ، وأن شركة (إدواردز) أبلغت إدارة الفندق بذلك ، وباستعدادها لدفع أىّ تعويض و .....
قاطعته (منى) فى لهفة شديدة :
ــ إذن فهو لم يَرَ جثة (أدهم) بنفسه :
عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يغمغم :
ــ عميل التغطية فى (بافن) محل ثقتنا التامة أيتها النقيب .
هتفت فى انفعال :
ــ الخبر نفسه ليس محل ثقة ياسيِّدى .
تنهَّد مدير المخابرات فى عمق ، وهو يتطلَّع إليها ، وأنبأه

حدسه أن الحب الذى يربط بين قلبى (أدهم) و (منى) ، سيثير المشاكل كالعادة ، فقال فى ضيق :
ــ ماذا تستهدفين بالضبط أيتها النقيب ؟
لوّحت بذراعها فى حماس ، وهى تقول :
ــ أنت تعرف (أدهم) مثلما أعرفه أنا ياسيِّدى .. هل تظن أنه ذلك الرجل ، الذى يلقى مصرعه فى حادث هليوكوبتر عادىّ ؟
مطّ المدير شفتيه ، وهو يغمغم :
ــ الأعمار بيد الله (سبحانه وتعالى) يابنيّتى .
هتفت فى مزيد من الحماس :
ــ لست أنكر ذلك ، ولكننى أكاد أقسم إن (أدهم) مازال على قيد الحياة ، وإن حادث الهليوكوبتر ليس سوى وسيلة لمنعه من العودة إلى (بافن) .
زفر مدير المخابرات ، وهو يسألها :
ــ وما دليلك على ذلك ؟
كادت تهتف بأن هذا ما أنبأها به قلبها ، إلا أنها أيقنت فى اللحظة الأخيرة أن هذا التبرير لن يرُوق له ، فعقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ـــ يمكننى أن أثبت ذلك .

سألها المدير ف ضجر :

ـــ كيف ؟

شدّت قامتها ، واستجمعت شجاعتها ، وهى تقول ف حزم عنيد :

ـــ بأن أسافر عل أوّل طائرة إلى (كندا) ياسيّدى .

* * *

كان (أدهم) يشعر بإرهاق هائل ، حينما صوّب نحوه رجال (هنريك) الأربعة مسدّساتهم ، إلا أن جسد (أدهم) كان يمتلك خاصيّة فريدة متميّزة ، تفوق أقرانه من بنى البشر .. فلم يكد ذلك الجسد يشعر بالخطر ، حتى نفضَ عن نفسه كل الإجهاد والإرهاق والتعب دفعة واحدة ، ودفع ف خلاياه نشاطاً قويًا عنيفًا ، وحيويّة وطاقة لا حدّ لهما ..

وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره (هنريك) لرجاله ، بإطلاق النار عل (أدهم) ، كان هذا الأخير قد تحرّك ف سرعة ، ودقّة ، ومهارة ..

ودار جذع (أدهم) نصف دوْرة ، وأطلق رصاصة من مسدّسه ، أطاحت بمسدّس أحد الرجال الأربعة ، ثم غاص



وقبل أن يتلاشى آخر حروف ذلك الأمر ، الذى أصدره (هنريك) لرجاله ، بإطلاق النار عل أدهم ..

بجسده إلى أسفل ، وانزلق على الأرضية المصقولة ، وهو يطلق رصاصته الثانية ، التى أطاحت بمسدس الرجل الثانى ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصتا الرجلين الآخرين ، فمرقت الأولى فوق رأس (أدهم) ، واحتكَّت بأطراف شعره ، فى حين أصابت الأخرى الأرض ، على بعد خطوة واحدة منه ، وغاصت فى أخشابها المصقولة اللامعة ، قبل أن يقفز (أدهم) واقفًا على قدميه ، ويطلق رصاصة ثالثة ، أطاحت بمسدس ثالث ، ثم يميل جانبًا ، ويطلق الرصاصة الرابعة ، التى أفقدت الرجل الرابع والأخير سلاحه ..

ونهض (هنريك) من مقعده فى حركة حادة ، وهو يهتف فى خليط من الدهشة والسخط :

ــ يا للشيطان !!

واتسعت عينا (فون دريك) فى ذعر ، وهو يتراجع إلى الخلف ، فى حين صوَّب (أدهم) مسدسه إلى الجميع ، وهو يقول فى صرامة ، تمتزج بسخريته المميَّزة :

ــ معذرة أيها الوغد الزعيم .. يبدو أن ذاكرتى ضعيفة بعض الشىء .. بِمَ كنت تأمر رجالك منذ لحظات ؟

عقد (هنريك) حاجبيه ، وهو ينحنى ، قائلًا فى غضب وصرامة :

ــ دعنى أذكِّرك يا مستر (أدهم) .. لقد أمرتهم بقتلك ، وما زال هذا الأمر ساريًا ، خاصة وأن ذلك النوع من المسدسات ، المصنوعة من البلاستيك ، يحوى عيبًا بالغ الخطورة ، وهو أن خزانته لا تسع إلا خمس رصاصات فحسب .. ولو أن ذاكرتك الضعيفة أسعفتك ، فستجد أنك قد أطلقت واحدة من هذه الرصاصات الخمس على مسدس (فون دريك) ، ثم أطلقت الرصاصات الأربع الأخرى منذ لحظات ، وهذا يعنى أن سلاحك الأنيق هذا لم يعد سوى قطعة من البلاستيك ، يمكننا أن نحتفظ بها فى إناء زجاجى ، كذكرى لمصرعك .

كان من الواضح أن (هنريك إدوارد) لا يتميَّز بالفضول والحرص فحسب ، وإنما بقوة الملاحظة ، وسرعة البديهة ، والأعصاب القويَّة أيضًا .. ولقد كان من الواضح أن هذا يملؤه بالزهو .. فلم يكد يتم حديثه السابق حتى اعتدل فى اعتزاز ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مزهوَّة ، وهو يستطرد :

ــ ولتعلم أيضًا أن رجالى الأربعة ، الذين هم طاقم

حراستى الخاص ، قد تلقوا تدريبات عالية مكثفة ، شديدة القسوة ، حتى باتت عظام قبضاتهم أشبه بالرصاصة ، كما أن كلاًّ منهم حاصل على الحزام الأحمر فى رياضتى (الكاراتيه) و (الجودو) ، وهى كما تعلم مرتبة رفيعة فى عالم الرياضات القتالية .. هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع يا مستر (أدهم) ؟

كان يلقى سؤاله الساخر الأخير فى نفس اللحظة ، التى تحرَّك فيها الرجال الأربعة بأجسادهم الضخمة ، وعضلاتهم المفتولة ، والشراسة المرتسمة على وجوههم ، نحو (أدهم) ، الذى قفز فى ذهنه السؤال نفسه :

ـ هل يمكنك مواجهة أربعة وحوش من هذا النوع يا (أدهم) ؟..

واستطلع عقله رأى عضلاته المنهكة ، وجسده المجهد ، ثم جاءت الإجابة مُفزعة مقلقة :

ـ كلا .. لن يمكنك ذلك ، فى ظل هذه الظروف .

وفى نفس اللحظة التى جاء فيها الجواب ، انقضَّ الوحوش الأربعة على (رجل المستحيل) ..

* * *

٧ ـ الهروب من الجحيم ..

« تعلن شركة مصر للطيران عن قيام رحلتها رقم تسعمائة وخمسة ، المتجهة إلى (كندا) ، فعلى السادة الرُّكَّاب سرعة التوجُّه إلى .... » ..

لم تنتظر (منى) لتسمع باقى النداء ، بل حملت حقيبتها الصغيرة ، وأسرعت الخُطا نحو الحافلة الخاصة ، التى تقلُّ المسافرين إلى الطائرة ، فى حين عادت المضيفة الأرضية تكرِّر النداء بلغات مختلفة .. وقفزت (منى) داخل الحافلة ، واتخذت أول مقاعدها ، إلى جوار بابها ، وكأنما تتعجَّل الانطلاق إلى الطائرة .. ولم تكد تستقر على مقعدها حتى اتسعت عيناها فى دهشة ، فقد بدا لها جسم ضخم ، بالغ البدانة ، يجاهد لدفع كتل الشحم المحيطة به إلى داخل الحافلة ، وهو يمنحها ابتسامة ودود ، فهتفت فى دهشة :

ـ (قدرى)؟!.. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

ألقى (قدرى) جسده على المقعد المجاور لها ، فحجب جسدها كله ببدانته ، وهو يلتفت إليها قائلاً فى مرح :

— إنك تحتاجين إلى رفيق فى هذه الرحلة الطويلة .. أليس كذلك ؟

لم تضحك لدعابته هذه المرّة ، وإنما عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

— ما الذى جاء بك ؟

لوّح بكفّه وهو يهمس فى ضراعة :

— رُوَيْدَكِ يا عزيزتى (منى) .. إنها مهمّة رسميّة .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وهى تهتف :

— مهمّة رسميّة ؟!

ابتسم وهو يهمس مغمغمًا :

— لا داعى لأن يعرف كل المسافرين هذا يا عزيزتى .

امتقع وجهها بغتة مع عبارته ، التى ذكّرتها بعبارات (أدهم) التقليدية ، وغمغمت فى شحوب :

— هل لى أن أفهم ما الذى يَعْنيه ذلك ؟

ابتسم ، وهو يقول فى مرح :

— لقد كنت شديدة العناد والإصرار على السفر إلى (كندا) ، حسبما أخبرنى المدير .. ولقد نجحت فى بذر بذور الشك فى أعماقه ، خاصّةً وأننا نؤمن جميعًا بأن

(أدهم صبرى) ليس بالرجل الذى يهزمه حادث هليوكوبتر فقد كان خليقًا به أن يقفز من الهليوكوبتر قبل لحظات من سقوطها .. ولقد رأى المدير أن موقفك يجعل الأمر أشبه بنداء اجتماعىّ ، منه إلى جهاز مخابرات قوىّ ، فما كان منه إلّا أن حوّل سفرك إلى (كندا) إلى مهمّة رسميّة ، وجعلنى أشاركك إيّاها ، بناءً على طلبى .

تنهّدت فى ارتياح ، وأسندت ظهرها إلى ظهر مقعدها ، وهى تقول :

— إن هذا يسعدنى يا (قدرى) .

اختفى المرح من ملامحه فجأة ، وحلّت محلّها صرامة شديدة ، وهو يقول :

— الشىء الوحيد القادر على منحى السعادة الآن يا (منى) ، هو أن نجد (أدهم) على قيد الحياة وإلّا أقسم أن أبذل آخر قطرة من دمى ، فى سبيل الانتقام من قاتليه .

ثم أردف فى حزم لم تعهده فيه من قبل :

— ولن أحنث بقسمى هذا أبدًا يا (منى) .

* * *

لو أن (أدهم) فى حالته العادية، بغير ذلك المجهود الهائل،

الذى بذله لصعود الأسطوانة الزَّلِقة ، ماتردَّد لحظة فى أن يهاجم الوحوش الأربعة ، وأن يذيقهم صلابة قبضتيه ، وقوة لكماته وركلاته ، ولأجبرهم على الركوع أمامه ، وإعلان هزيمتهم فى ذُلّ ومهانة ..

أما فى وضعه هذا فقد كان الأمر يختلف ، وكان عليه أن يلجأ إلى الفرار ، على الرغم من كراهيته لمبدإ الهروب أمام أعدائه ..

وقفز (أدهم) إلى الخلف ، وألقى مسدسه فى وجه أحد الرجال الأربعة ، ولكم الثانى فى معدته بكل ما يملك من قوة ، ثم أدار مقبض باب الحجرة ، وفتحه وهو يركل الثانى فى وجهه ، ثم قفز إلى الخارج وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، وانطلق يعْدو نحو مصعد (هنريك) الخاص ..

وصاح (هنريك) ، وهو يتابع الشاشات التليفزيونية ، التى تنقل إليه ما يفعله (أدهم) فى الممرّ الخارجى :

ـ أسرعوا أيها الأغبياء .. إنه يحاول الفرار بواسطة مصعدى الخاص .. اقتلوه قبل أن يفعل .. أسرعوا .

التقط الرجال الأربعة مسدَّساتهم ، وأطلقوا رصاصها على رتاج الباب ، ثم دفعوه بأكتافهم ، واندفعوا إلى الممرّ فى نفس اللحظة التى قفز فيها (أدهم) داخل المصعد الخاصّ ،

وضغط أزراره ليرتفع به إلى السطح ، فصاح (هنريك) فى رجاله :

ـ أوقفوا المصعد .. امنعوه من الوصول إلى السطح .

سمع (أدهم) النداء ، من خلال جهاز صوتى صغير داخل المصعد ، فأدار وجهه إلى آلة التصوير المثبتة فى المصعد ، والتى تنقل إلى (هنريك) ما يدور داخله ، وهتف فى سخرية :

ـ إذهب إلى الجحيم أيها الوغد .

ثم حطّم (أدهم) عدسة آلة التصوير بقبضته ، مما جعل دماء الغضب تتصاعد إلى رأس (هنريك) ، وهو يصرخ :

ـ انسفوا المصعد .. أسقطوه .. المهم ألا يصل ذلك الرجل إلى السطح أبدًا .

وهنا خطرت لأحد رجاله فكرة شيطانية ، فأطلق رصاص مسدسه على أزرار المصعد الخارجية ، فحطمها ، ثم انتزع أسلاكها فى عنف ، وأوصل السلكين ، الموجب والسالب ، فأطلقت الأسلاك شرارة قوية ، وخبت الأضواء لحظة ، ثم توقف المصعد دفعة واحدة ، فى منتصف الطريق بين الطابق الثالث والسطح ..

ورأى (هنريك) ما حدث على شاشات أجهزته الراصدة . فتألقت عيناه فى ظفر ، وصاح فى شراسة :

ــ ستحصل على مكافأة سخية نظير براعتك أيها الرجل .

ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال ، الذى يوصله برجال أمن شركته ، وصاح فى لهجة آمرة صارمة :

ــ إنذار إلى الجميع .. يوجد جاسوس داخل الشركة ، ولقد سجنّاه داخل المِصْعَد .. اتجهوا جميعًا إلى السطح ، وأطلقوا عليه قاذفات اللهب .. هل فهمتم ؟.. أريد أن يُشوى حيًا .

* * *

لم يكد رجال الأمن يتلقّون هذا الأمر ، حتى تجلّت فيهم فجأة روح المهارة والبراعة ، فقد تحرّكوا جميعًا على نحو بالغ التنظيم والتنسيق ، كما لو أنهم أفراد جيش نظاميّ قويّ ، تم إعداده فى عناية وإحكام ، فقد انقسموا فجأة إلى عدة مجموعات ، قام بعضها بحراسة مداخل المكان ومخارجه بمدافعهم الرشاشة ، وأسرع البعض الآخر يعزل مبنى الموظفين عن مبنى (هنريك) الخاص ، فى حين انطلقت المجموعة الأخيرة ، وقوامها عشرة رجال ، إلى السطح ، فالتف ثلاثة

منهم حول الهليوكوبتر الرابضة على السطح ، يحرسونها فى إصرار ، فى حين أحاط السبعة الباقون بمدخل المِصْعَد ، واندفع اثنان منهم ، يحملان قاذفتى لهب ، ويفتحان باب المصعد فى سرعة ومهارة ، ثم اتجهت فُوّهتا قاذفتى اللهب إلى المِصْعَد الخاص ، المعلّق فى مكانه بين الطابق الثالث والسطح ، وانطلقت ألسنة اللهب لتحوّل المِصْعَد إلى قطعة من الجحيم ..

وارتفعت حرارة المِصْعَد الخاص ، حتى وصلت جدرانه إلى درجة الاحمرار ، واطمأن رجلا الأمن إلى أنه من المستحيل أن يبقى رجل على قيد الحياة وسط ذلك الأتون الملتهب ، فأوقفا قاذفتى اللهب ، واعتدل أحدهما ، وهو يقول فى لهجة عسكرية :

ــ تم تنفيذ المهمة يا سيّدى .. لا أحد يمكنه الفرار من هذا الجحيم .

لم يكد الرجل يتم عبارته ، حتى انطلق صوت ساخر ، جمّد الدماء فى عروق الجميع ، وهو يقول :

ــ إذن فأنا أُدْعَى لا أحد .

وقبل أن يزول أثر المفاجأة ، اندفع (أدهم) من باب المصْعَد المفتوح ..

* * *

حتى يمكننا أن ندرك ما حدث ، لابدّ لنا من العودة بالزمن إلى خمس دقائق مضت ..

إلى تلك اللحظة ، التي أصدر فيها (هتريك) أوامره لرجال الأمن ..

لقد استقبل الجهاز الصوتي الصغير ، المثبّت داخل المصْعَد ، نفس الأمر إلى (أدهم) ، بعد أن توقّف به المصْعَد ، ودون أن يضيع ثانية واحدة ، أو حتى جزءًا من الثانية ، بدأ (أدهم) تحرّكه ، فدفع فجوة الأمن في أعلى المصْعَد ، وقفز ليتعلّق بحافتها ، ويصعد إلى أعلى المصْعَد ، ثم تعلّق بأسلاكه القوية ، وأخذ يتسلقها في سرعة ومهارة ، حتى تجاوز مدخل المصْعَد على سطح الشركة ، وتعلق بالأسلاك في ذلك الفراغ الصغير ، الذى يرتفع فوق المدخل ، والمعَدّ لاستيعاب تلك الأجهزة ، التي توضع فوق المصْعَد ، لتأمين حركته ..

وكم أدهشه أن نجحت عضلاته المنهكة في ذلك ، إلا أنه ألقى تلك الدهشة خلف ظهره ، وظلّ متشبثًا بالأسلاك ، وهو يضم ركبتيه إلى صدره في مرونة ، حتى يختفي جسده تمامًا في

ذلك الفراغ الضيّق ، حتى رأى رجلي الأمن وهما يفتحان باب المصْعَد ، ويطلقان قاذفتي اللهب نحو المصْعَد ..

وسرت في جسده قُشَعْرِيرة ، وهو يتصوّر المصير الذى كان ينتظره ، لو أنه بقي داخل المصعد ، الذى تحوّل إلى كتلة من الجحيم ..

وعلى الرغم من أنه كان يعلو كتلة اللهب هذه بما يقرب من عشرة أمتار ، إلا أنه شعر بحرارة شديدة من أثر قاذفتي اللهب ، حتى أنه تصبّب عرقًا في غزارة ، برغم برودة الطقس في الخارج ، حتى أوقف رجلا الأمن إطلاق النيران ، وسمع أحدهما يعلن انتهاء المهمة ونجاحها ..

وهناك أدرك أن لحظة الهجوم قد حانت ..

وقد كان ..

وفي براعة ومرونة وجُرأة ، تعلّق (أدهم) بحاجز باب المصْعَد ، وقفز إلى السطح ، وسط رجال الأمن العشرة ، وهو ينطق عبارته السالفة الذكر ، وتحرّكت قبضته في سرعة وقوة ، لتهوى على فك أحد الرجلين ، اللذين يمسكان قاذفتي اللهب ، ثم التقط قاذفة اللهب في مهارة ، وهو يركل الرجل الآخر بين ساقيه .. وقبل أن ترتفع فوّهات المدافع الرشاشة في وجهه ، كان يطلق قاذفة اللهب في وجوه الجميع ..

وتحوّل سطح الشركة إلى جحيم حقيقي ..

* * *



كان يطلق قاذفة اللهب فى وجوه الجميع ..
وتحوَّل سطح الشركة إلى جحيم حقيقى ..

٨ ـ فى سماء المعركة ..

نقلت آلات التصوير التى تملأ السطح ، ذلك المشهد إلى (هنريك) و (فون دريك) ، فشحب وجه الأخير فى ذهول ، واحتقن وجه الأوَّل ، وهو يحدِّق فى شاشة الرصد ، هاتفًا :

ـ مستحيل !!

وسرعان ما امتلأت عيناه بذهول جارف ، عندما رأى النيران تشتعل فى ثياب خمسة من رجال الأمن العشرة ، فيلقون أسلحتهم ، ويركضون فى كل مكان ، وهم يصرخون ويتقافزون فى ذعر وألم هائلين ، ورأى الرجلين ، اللذين كانا يحملان قاذفتى اللهب ، فاقدى الوعى تحت قدمى (أدهم) ، والرجال الثلاثة الباقين ، الذين كانوا يحيطون بالهليوكوبتر ، وهم يتخلَّون عنها ، ويستديرون ليطلقوا رصاصات مدافعهم الرشاشة نحو (أدهم) ، الذى تفادى الطلقات المنهمرة عليه كالمطر بقفزة مذهلة ، ودار بجسده دورة رأسيَّة فى الهواء ، ثم هبط على قدميه ، وألقى قاذفة اللهب فى وجه الرجال الثلاثة ، ثم انحنى فى سرعة مدهشة ، والتقط مدفعًا رشاشًا ، من تلك المدافع التى تخلَّى عنها

الرجال الخمسة ، بعد أن اشتعلت النيران فى ثيابهم ، وفى مهارة منقطعة النظير ، أطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو الرجال الثلاثة ..

وامتقع وجه (هنريك) ، وسقط (فون دريك) على أقرب مقعد ، حينما أصابت رصاصات (أدهم) مدافع الرجال الثلاثة ، وأطاحت بها ، دون أن تمس أصحابها بخدش واحد ، وسمع الاثنان صوت (أدهم) ، عبْر الأجهزة الناقلة للصوت ، وهو يقول فى صوت صارم ، موجِّهًا حديثه إلى الرجال الثلاثة ، ومشيرًا إلى الهليوكوبتر :

ــ ابتعدوا عن هذا الشىء .

أطاع الرجال الثلاثة الأمر فى سرعة ، وأدرك (هنريك) مقصده على الفور ، فقفز من مقعده ، وهو يهتف فى غضب :

ــ كلَّا .. ليس الهليوكوبتر .. ليس الهليوكوبتر .

ولكنه لم يكد يتم عبارته ، حتى كان (أدهم) قد قفز إلى الهليوكوبتر ، وأدار محرِّكاتها ، فدارت مروحتها فى قوة ، وارتفعت عن السطح ، وسقطت فكّ (هنريك) السُّفلى فى مزيج من السخط والذهول ، وهو يراقب الإقلاع الرائع ، الذى قام به (أدهم) .. فى حين هتف (فون دريك) فى ذُعْر :

ــ يا للشيطان !! .. لقد نجح فى الاستيلاء على الهليوكوبتر ، التى تحمل مدفعين رشاشين .

عقد (هنريك) حاجبيه فى غضب وصرامة ، وضغط زرّ جهاز الاتصال ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ لدينا أخريات بصواريخ مضادَّة للطائرات .

ثم هتف عبْر جهاز الاتصال :

ــ إلى القوات الجوية المحاربة .. لقد استولى الجاسوس على الهليوكوبتر (زد ٣) .. أطلقوا خلفه خمس طائرات هليوكوبتر من طراز (إكس ١٨) .. أريد ألا يبقى منه ما يكفى لملء علبة ثقاب صغيرة .. أطلقوا صواريخكم فى سخاء .. المهم ألا يغادر ذلك الشيطان حدود (إلسمير) أبدًا .. أبدًا .

* * *

لم تكن مغادرة (إلسمير) ضمن خطَّة (أدهم) فى الواقع ، فهو لم يعمد إلى الاستيلاء على الهليوكوبتر ، والإقلاع بها ، للفرار من ساحة المعركة ، وإنما كان ذلك كنوع من المقامرة المدروسة ، تستهدف إقناع الجميع بفراره ، حتى يمكنه العوْدة ، وقلب الأمور على رأس (هنريك) ورجاله ..

ولقد أدهشه أن الهليوكوبتر كانت مزوّدة بمدفعين رشاشين ، مما لا يتفق مع هليوكوبتر تابعة لشركة مصايد قطبية ، حتى ولو كان صاحبها يعمل فى مجال الجاسوسية الخاصّة ؛ لذا فقد أذهله لثانية أن تنطلق لمطاردته خمس طائرات هليوكوبتر ، مزوّدة بالصواريخ ، من ذلك الطراز الذى لا يتواجد عادةً إلا فى الجيوش القوية ..

ولكن ذهوله تلاشى فى سرعة ، وتوارى خلف صرامته وإصراره ، حينما أدرك أن الموقف قد تحوّل ــ لسبب ما ــ إلى معركة حقيقية .. أو إلى حرب فى سماء المعركة ..

ولقد وجدها (أدهم) فرصة لإثبات مهارته ، وتلقين هؤلاء الأوغاد درسًا .. وبدلًا من أن ينطلق هاربًا ، استدار بالهليوكوبتر ليواجه مطارديه ، على الرغم من ثقته بأن كل هليوكوبتر تطارده ، تملك استعدادًا حربيًا يجعل مواجهته لها أشبه بمواجهة فأر صغير لنمر مفترس ..

ولقد أدهشت مبادرته قائدى الطائرات الخمس ، إلا أنهم ــ وبإتقان عجيب ــ أطلقوا نحوه صواريخهم فى آن واحد ، واتجهت الصواريخ الخمسة نحو هليوكوبتر (أدهم) ، وكل منها يحمل هدفًا واحدًا ..

القتل ..

* * *

لو أننا سألنا قائد القوّات الجوّية المصرية ، احتمالات النجاة ، حينما تواجه هليوكوبتر من نوع (زد ٣) ، خمس من طراز (إكس ١٨) ، لمطّ شفتيه فى أسف ، وأجاب فى ثقة :

ــ احتمال النجاة فى مثل هذه الحالة يقلّ عن النصف فى المائة .

ولو أننا أضفنا أن قائد الـ (زد ٣) هو المقدّم (أدهم صبرى) ، فستألّق نظرة مُفْعَمة بالإعجاب فى عينى قائد القوّات المصرية ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ، ويقول بمزيد من الثقة :

ــ فى هذه الحالة أيضًا لن تزيد احتمالات النجاة عن النصف فى المائة ، وسيكون من المؤسف أن يفقد خمسة من قائدى الهليوكوبتر (إكس ١٨) وظائفهم .

فلقد أشرف قائد القوات الجوية بنفسه على تدريب (أدهم) ، وهو يعلم مدى كفاءته فى هذا المجال ..

ولقد أثبت (أدهم) هذه الكفاءة بالفعل ، حينما انحرف بالهليوكوبتر فجأة ، وصعد بها إلى أعلى فى وضع عمودى ، متجاوزًا الصواريخ الخمسة ، التى انفجرت بدوىّ هائل وسط الثلوج ، ثم انقضّ على طائرات الهليوكوبتر المطاردة ، وهو يمطرها برصاصات المدفعين الرشاشين ، المثبتين فى طائرته ..

وحطّمت رصاصات مروحة الهليوكوبتر الأولى ، ورآها تهوى إلى أسفل ، وهى تدور حول نفسها على نحو بالغ الخطورة ، فى حين مرّق هو بين الطائرات الأربع الأخرى ، وصنع باختراقه صفوفها موجة من التخلخل ، أخلّت بتوازن طائرة أخرى ، فدارت حول نفسها بدورها ، وكادت تهوى لتلحق بزميلتها ، لولا مهارة قائدها ..

واستدارت الطائرات الأربع لتواجه خصمها ، وقد أدرك قادتها أنهم يواجهون مقاتلًا لا يستهان به ، ولكنهم رأوْا هليوكوبتر (أدهم) ترتفع فى سرعة نحو السُّحب الباردة ، التى تحجب السماء ، فعقد أحدهم حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـــ ماذا يفعل ذلك الأحمق ؟.. أيظن أنه يقود (فانتوم) جديدة ؟

ثم اندفعت الطائرات الأربع خلف (أدهم) ، الذى اخترق بالهليوكوبتر السُّحب الباردة ، واختفى بينها ، حتى أثار حَيْرة قائدى الطائرات الأربع ، التى أخذت تدور حول السُّحب فى قلق وحَذَر ، وقال أحدهم لرفاقه ، عبْر أجهزة اللاسلكى :

ـــ أين ذهب ذلك الشيطان ؟.. هل ذاب وسط السحب ؟

كان يتوقّع أن يشاركه رفاقه حَيْرته وتساؤله ، إلا أنه فوجئ بأحدهم يصرخ عبْر جهاز اللاسلكى :

ـــ احترس .. إنه خلفك ..

وقبل أن يلتفت ، أو يستدير بطائرته ، انهالت عليه رصاصات هليوكوبتر (أدهم) كالمطر ، وأعطبت مروحته ، وثقبت خزّان وقوده ، فهوت طائرته قبل أن يفيق من ذهوله ، وهى ترسل خلفها خيطًا من الدُّخان الأسود الكثيف ..

وأطلقت الطائرات الثلاث الباقية صواريخها نحو (أدهم) ، الذى انحرف بالهليوكوبتر فى سرعة وبراعة ، وارتفع بها ليختفى وسط السُّحب مرّة أخرى ، فهتف أحد قادة الهليوكوبترات الأخرى فى توتُّر :

ـــ أىُّ شيطان هذا ؟.. إننى أشعر وكأننا نقاتل شبحًا !!

صاح آخر :

ـــ فلنطلق الرصاصات وسط السُّحب ، لقد أمرنا الزعيم ألا ندّخر الذخيرة .

أطلق الثلاثة رصاصاتهم فى غزارة وسط السُّحب ، وقد

تملكهم القلق ، وملأ التوتر نفوسهم ، وكل منهم يتصوَّر نفسه الضحيَّة التالية ..

وفجأة .. برزت هليوكوبتر (أدهم) من وسط السُّحب ، كسمكة قرش مفترسة ، اخترقت البحر لتنشب أنيابها في جسد ضحيَّة جديدة ، وانطلقت رصاصاته تغمر الطائرات الثلاث ، التي أخذتها المفاجأة ، فتلقَّت إحداها سيلًا من الرصاصات ، حطَّم زجاجها الأماميّ ، واستقر بعضه في جسد قائدها ، فهوَت من حالق ، وأطلق قائد الثانية رصاصاته في ذُعر ، فأصاب زجاج هليوكوبتر (أدهم) ، وحطَّمه ، وأصابت إحدى رصاصاته كتف بطلنا ، ونفذت منه مخلفةً ثقبًا داميًا ، وآلامًا مبرِّحة .. وشعر (أدهم) بالهواء البارد يرتطم بجسده ، وبأطرافه تتجمَّد ، وبأنفاسه تختنق على الارتفاع الشديد ، وسط طقس تبلغ برودته الأربعين تحت الصفر ، فهبط بالهليوكوبتر في سرعة ، قبل أن يلقَى حتفه ، ولحقت به الطائرتان الباقيتان في إصرار ، وهما تمطرانه برصاصاتهما ، التي أصابت خزّان الوقود ، فزاد (أدهم) من سرعة هبوطه ، محاولًا الوصول إلى ارتفاع معقول ، قبل أن تناله الرصاصات ، وهتف أحد قائدي الطائرتين في شراسة :

ـــ لن تفرَّ بعد ما فعلته .. لن تفرَّ أبدًا .

ثم أطلق آخر صواريخ طائرته نحو هليوكوبتر (أدهم) ، التي باتت على ارتفاع ثمانية أمتار فقط من سطح الأرض ..

وأصاب الصاروخ هدفه هذه المرَّة ..

وكان انفجارًا مروِّعًا ..

* * *



٩ ــ ضائع وسط الثلوج ..

انتفضت (منى) فجأة فى أثناء نومها داخل الطائرة ، التى تقلّها مع (قدرى) إلى (كندا) ، واتسعت عيناها فى ذُعْر ، وهى تصرخ :

ــ (أدهم) !!

التفت إليها (قدرى) فى دهشة ، واستدارت إليها عيون الركّاب فى حَيْرة وجَزَع واستنكار ، وهرعت إليها مضيفة الطائرة ، تسألها فى جَزَع :

ــ ماذا هناك يا سيّدتى ؟

حدّقت (منى) فى وجه المضيفة لحظة ، ثم لوّحت بكفّها ، وهى تتنهّد ، قائلة :

ــ لا شىء .. إنه مجرّد كابوس فحسب .

منحتها المضيفة ابتسامة حنونًا ، وهى تسألها فى إشفاق :

ــ هل أحضر لك بعض الماء ، أو قرصًا مهدّئًا .

ابتسمت (منى) ابتسامة شاحبة ، وهى تقول :

ــ كلّا .. شكرًا لك .. إننى فى خير حال .

التفت إليها (قدرى) فى دهشة ، واستدارت إليها عيون الركّاب ..

منحتها المضيفة ابتسامة أخرى ، ثم انصرفت لشئونها ، فالتفت (قدرى) إلى (منى) ، وسألها فى توتر :

ـ ماذا حدث ؟

زفرت فى قوة ، قبل أن تجيبه :

ـ إنه كابوس حقًا يا (قدرى) .. كابوس بشع .

سألها فى اهتمام :

ـ وماذا عن هتافك باسم (أدهم) ؟

زفرت مرّة أخرى ، وهى تقول فى صوت مضطرب :

ـ لقد كان الكابوس حول (أدهم) يا (قدرى) .. لقد رأيته داخل هليوكوبتر تنفجر ، ويلقى حتفه داخلها .

هتف فى صوت خافت :

ـ رحماك يا إلهى !.. ما أبشعه من كابوس !!

أخذت تلهث كما لو أنها قد بذلت مجهودًا عنيفًا ، ووضعت يدها على صدرها ، وكأنما تحاول تهدئة قلبها ، الذى يخفق فى عنف ، وهى تقول :

ـ ليته يقتصر على كونه كابوسًا يا (قدرى) .

مطّ شفتيه ، وهو يغمغم فى قلق :

ـ وماذا يمكنه أن يكون غير ذلك ؟

أغلقت عينيها ؛ تمنع دموعها من الانسكاب على خدّيها ، وهى تقول فى حزن انفطر له قلب (قدرى) :

ـ نبوءة يا (قدرى) ..

* * *

انفجرت هليوكوبتر (أدهم) انفجارًا هائلًا ، وتناثرت شظاياها وسط سحابة هائلة من الثلوج ، استغرقت فترة طويلة ، قبل أن تتساقط لتنضمّ إلى الثلوج ، التى تغمر المكان ، وتدثّر بقايا الهليوكوبتر المحطّمة برداء أبيض بارد ، ويسود السكون ، إلّا من صوت مروحتى الطائرتين الباقيتين ، وهما تحومان حول الحطام ، قبل أن يهتف قائد الهليوكوبتر ، التى أطلقت الصاروخ القاتل ، فى سعادة وظفر وحماس :

ـ لقد حطّمته .. لقد نسفته نسفًا .

هتف زميله عبْر جهاز اللاسلكى .

ـ لقد كنت رائعًا يا رفيقى .. أهنئك .

ثم ضغط زرّ اللاسلكى ، الذى يوصله بمكتب (هنريك) مباشرةً ، وهو يقول فى لهجة رسمية :

ـ انتهت المهمة فى نجاح .. تمّت تصفية العدوّ ..

جاءه صوت (هنريك) عَبْرَ سمّاعة الجهاز ، مُفْعَمًا بالانفعال والظَّفر ، وهو يقول :

ـ عُد إلى هنا على الفور ، وقدِّم تقريرك .. إننى أنتظر .

غمغم الرجل :

ـ إننا فى طريق العودة .

ثم أغلق جهازه ، وقامت الطائرتان بدَوْرة أخيرة حول الحطام ، ثم انطلقتا نحو الشركة ، وتلاشى صوت مروحيتيهما رويدًا رويدًا ، حتى لم يَعُد هناك سوى الثلوج الممتدَّة ، وحطام هليوكوبتر من طراز (زد ٣) ، كانت تحمل منذ قليل ضابط المخابرات المصرى ، المعروف باسم (رجل المستحيل) ..

* * *

ضرب (هنريك) سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، وهو يهتف فى غضب :

ـ ثلاث طائرات ؟!.. تفقدون ثلاث طائرات من طراز (إكس ١٨) ، فى مواجهة مع هليوكوبتر واحدة من طراز (زد ٣) ؟!.. أى رجال أنتم ؟!.. ماذا ستفعلون إذن ، حينما تحين اللحظة الكبرى ؟!

تبادل قائدا الطائرتين الناجيتين نظرات الاستياء ، ثم غمغم أحدهما فى ضيق :

ـ لقد كان الرجل يقاتل فى مهارة منقطعة النظير يا سيِّدى ، ولا ريب أنه .....

قاطعه (هنريك) بصرخة غاضبة :

ـ إنه ماذا ؟.. مهما كان هذا الرجل ، فهو رجل واحد ، وكان ينبغى أن تسقطوه من الضربة الأولى .

غمغم الطيار الآخر فى ضيق :

ـ لقد حاولنا يا سيِّدى .. ولكن ....

قاطعه (هنريك) هذه المرَّة أيضًا ، صائحًا فى غضب :

ـ ولكن ماذا ؟.. إننى أكره الأعذار الواهية .. الحقيقة الوحيدة فى هذا الأمر ، هى أنكم ما زلتم تحتاجون إلى مزيد من التدريب ، قبل ساعة الصفر ، فعندما تحين اللحظة الكبرى ، لن تجدى الأعذار .

تبادل قائدا الهليوكوبتر نظرة الاستياء مرَّة أخرى ، وعادا يقفان منتصبين ، قبل أن يلوِّح (هنريك) بكفِّه فى سخط ، قائلًا فى صرامة :

ـ انصرفا ..

انصرف الاثنان فى حَنَق واضح ، فقد جاءا يتوقعان مكافأة سخية ، فإذا بهما يتعرَّضان لتقريع عنيف ، ولم يكد آخرهما

يغلق الباب خلفه حتى ضمّ (فون دريك) راحتيه أمام
وجهه ، وهو يقول :
ـ رُوَيْدَك يا مستر (هنريك) ، كلانا يعلم أن هذا الرجل
كان شيطانًا مريدًا ، ومن حسن الحظ أن نجح الرجال في
التخلّص منه .
لوّح (هنريك) بذراعه ، وهو يقول في سخط :
ـ بخسائر فادحة يا (فون دريك) .. إن قوتنا لم تبلغ بعد
الحدّ الكافي لتحمُّل مثل هذه الخسارة ، خاصةً وأن نجاح
المخابرات المصرية في كشف موقفنا ، يعني ضرورة التعجيل
بساعة الصفر .
نهض (فون دريك) وهو يبتسم ، ويقول في هدوء وثقة :
ـ اطمئن يا مستر (هنريك) ، لقد تخلّصنا من أخطر
ضابط مخابرات في العالم ، وسيسير كل شيء على ما يرام ..
اطمئن .

* * *

لم يكد صوت مروحتي طائرتي الهليوكوبتر يتلاشى ، بعد
دورتهما الأخيرة حول حطام هليوكوبتر (أدهم) ، حتى
بدت بُقعة من الجليد ، الذي يغمر المكان ، وكأنها تنبض

في بطء ، ثم لم تلبث أن تحرّكت ، وبرز منها رجل تجمّدت أطرافه
من شدة البرودة ..
رجل يُدعى (أدهم صبري) ..
كانت بشرته قد اكتسبت بلون أميل إلى الزُّرقة ، بعد أن
بقي تحت غلاف من الثلوج لأكثر من ربع ساعة كاملة ، وكانت
أطرافه ترتجف في قوّة ، وأنفاسه تتردّد في صدره في صعوبة ..
ولكنه كان على قيد الحياة ..
وهذا هو المهم ..
وأخذ (أدهم) يدلّك أطرافه في قوّة ، محاولًا التغلُّب على
البرودة القارصة ، التي تسري في جسده ، وتحسَّس الدماء
التي تجمّدت حول ثقبي الرصاصة أمام وخلف كتفه ، وقاوم
الآلام التي تعربد في جسده ، من قمّة رأسه حتى أخمص
قدميه ، وهو يتجه في خطوات سريعة نحو حطام الهليوكوبتر ..
كان قد نجا من الموت المحقّق هذه المرّة ، بتوفيق الله
(سبحانه وتعالى) وحده .. فقد نجح في القفز من الهليوكوبتر
قبل لحظة واحدة من انفجارها ، وحجبته سحب الثلج ، التي
تناثرت إثر الانفجار ، عن عيون قائدي الطائرتين المطاردتين ،

حتى غمرته الثلوج الناعمة ، وهو يستلقى على وجهه فوق الثلوج الصلبة ، واحتمل هو البرد القارص ، واحتمل جسده تلك الآلام التى يشعر بها ، حتى ابتعدت الطائرتان ..

ولقد بدا له هذا أشبه بالمعجزة ..

بل هو معجزة حقيقية ..

معجزة أراد له بها الله (سبحانه وتعالى) أنه ينجو ، وأن يواصل قتاله ضد هؤلاء الأوغاد ..

وعاد عقله يشعر بالدهشة لوجود هذه الطائرات الهليوكوبتر الحديثة ، فى حوزة (هنريك إدوارد) ، وأنبأه هذا أن (هنريك) لا يسعى لمجرّد إنشاء منظمة جاسوسية خاصة ، بل يسعى لهدف أكثر قوّة وخطورة ..

هدف يحتاج إلى جيش حربى كامل ..

وعليه هو أن يُوقف ذلك ، وأن يبذل حياته لتحطيمه ، إذا ما قدّر له أن ينجو ، وألا يبقى حتى مصرعه ضائعًا وسط جحيم من الثلوج ..

* * *

١٠ ـ الطريق إلى الهدف ..

تفقّد (أدهم) حطام الهليوكوبتر فى عناية ، وقد قرر الإفادة من كل قطعة يجدها وسطه ، ولقد شعر بارتياح كبير ؛ لأن كابينة القيادة لم تتحطّم تمامًا ، فأسرع ينتزع الفراء الذى يكسو مقاعدها ، ومزّق أطرافه فى عناية ، ليصنع فجوة تكفى تمرير رأسه وذراعيه ، بحيث حوّله إلى سُترة من الفراء تقيه بعض البرد الشديد ، الذى يكاد يعصف بأطرافه ، واستغلّ جزءًا منه فى صنع غلاف واقٍ ، أحاط به رأسه وأذنيه ، ثم انتزع بقايا المقاعد ، وكوّمها على بعد مترين من الحطام ، ثم التقط قدّاحة الهليوكوبتر ، وأشعل النار فى البقايا ، وجلس إلى جوارها يستمتع بدفء النيران ، حتى استعاد جسده حيويته ونشاطه ، وضمّد جرح كتفه بقطعة من بطانة المقاعد ، ثم اتجه إلى بقايا الكابينة ، وأخذ يفتّشها فى اهتمام بالغ ، وتألّقت عيناه حينما عثر داخلها على مسدّس من طراز ألمانى ، تحوى خزانته تسع رصاصات ، فدسّه فى جيب سترته ، وابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـ أعدك بأن أحتفظ لك برصاصة من هذه الرصاصات التسع يا (هنريك إدوارد) .

ثم اتجه إلى المروحة المحطَّمة ، وانتزع قطعتين مسطحتين منها ، وتأملهما لحظة ، ثم اتجه إلى الهليوكوبتر ، وبذل جهدًا لينتزع قائمي الكابينة السفليين ، وأسلاك البطارية ، ثم حمل هذه الأشياء ، وعاد إلى قطعتي المروحة ، وأخذ يثبت القطعتين أسفل حذائه بواسطة الأسلاك ، حتى أحكم تثبيتهما ، والتقط القائمين ، ونهض واقفًا ، ثم ابتسم وغمغم :

ـ أعتقد أن هذا يفي بالغرض .

كان قد أفاد بقطع حطام الهليوكوبتر ؛ ليصنع لنفسه ما يشبه زلاجتي الجليد ، ولم يعُد أمامه سوى أن يثبت مهارته في التزلج على الجليد ..

ودفع (أدهم) القائمين في الثلوج الصلبة ، ثم انطلق بزلاجتيه الصناعيتين نحو الهدف ..

نحو شركة (هنريك) ..

أو نحو نهايته ..

* * *

ساعة كاملة اندفع خلالها (أدهم) منزلقًا فوق الثلوج ،

وسط برودة قارصة تحمَّلها في بسالة نادرة ، حتى لاح له مبنى الشركة ، مع مغيب الشمس ، وحلول الظلام ، وهبوط درجة البرودة إلى الخمسين تحت الصفر ..

وتوقَّف (أدهم) خلف تبَّة ثلجية قريبة ، وتخلَّص من زلاجتيه الضخمتين ، وتجمَّدت أنفاسه وهو يراقب المبنى في اهتمام وإمعان ، حتى تبيَّن مدخلًا واحدًا ، دون أن يرى حارسًا واحدًا حول المكان ..

وكان يعلم أن المنطقة كلها مراقبة بآلات التصوير التليفزيونية ، التي تنقل إلى (هنريك) كل ما يحدث وما يدور حول المكان ، وكان يعلم أن الوصول إلى مبنى الشركة يُعد مستحيلًا ، حتى مع حلول الظلام ..

ولكن عليه أن يصل إلى هناك ، مهما كان الثمن ..

وعقد حاجبيه وهو يفكِّر في عمق ، والبرودة من حوله تزداد وتزداد ، وأطرافه تتجمَّد في وضع السكون الذي يتخذه ، والبرد يكاد ينخر عظامه ، ويجمِّد الدماء في عروقه .

وفجأة .. تهلَّلت أساريره ، وارتسم في ملامحه انفعال غامض ، وهو يبتسم مغمغمًا :



وتوقّف (أدهم) خلف قمّة ثلجية قريبة ،
وتخلّص من زلّاجتيه الضخمتين ..

— من حسن الحظ أنك تراقب كل ما يحدث يا (هنريك) ، وأنك رجل شديد الحرص والحذر .

ثم أخرج مسدسه من جيبه ، ورفع فوهته إلى أعلى ، وأطلق رصاصتين ، كان لهما دوىّ القنبلة وسط الظلام والسكون ..

* * *

كان (هنريك) يناقش بعض الأمور الهامة مع (فون دريك) ، حينما نقلت إليه أجهزته دوىّ الرصاصتين ، فقفز من مقعده فى ذُعر ، والتفت إلى شاشات الرصد التى تملأ مكتبه فى قلق ، وهتف عَبْر أجهزة الاتصال :

— ماذا يحدث هنا ؟

أجابه رئيس حرّاس المبنى فى قلق مماثل :

— لست أدرى أيها الزعيم .. لقد انطلقت رصاصتان فى الخارج ، ودرجة البرودة لا تسمح بوجود مخلوق واحد خارج المبنى ، وكل رجالنا هنا ، والمصنع ومساكن العمّال تبعد أكثر من كيلومترين و .....

قاطعه (هنريك) فى صرامة :

— أرسل خمسة رجال لتحرّى الأمر ، وأريد تقريرهم فور عودتهم .

أجابه رئيس الحرّاس :

ـ كما تأمر أيها الزعيم .

استدار (هنريك) يراقب شاشات الرّصد فى قلق ، فسأله (فون دريك) :

ـ ماذا تتوقّع أيها الزعيم ؟

هزّ (هنريك) رأسه فى حيرة ، وهو يغمغم فى قلق :

ـ لست أدرى .. إن أحدًا لم يصل إلى الجزيرة ، سوى ذلك الشيطان المصرى ، وأخشى أن يكون .....

قاطعه (فون دريك) ، وهو يهتف فى استنكار :

ـ نجا ؟!.. مستحيل يا مستر (هنريك) ، لا أحد ينجو من صاروخ متفجّر .

لم تخفّف كلماته من قلق (هنريك) ، الذى غمغم فى خفوت :

ـ سأرسل رجلين فى الصباح الباكر للبحث عن جثته .. لن يهدأ لى بال حتى أرى بقاياه بعينىّ .

ابتسم (فون دريك) ، وهو يقول :

ـ إنك تبالغ فى الحرص والحذر هذه المرّة أيها الزعيم .

مطّ (هنريك) شفتيه ، وهو يراقب شاشاته فى قلق واهتمام ، ويغمغم فى توتّر :

ـ ربّما يا (فون دريك) .. ربّما ..

ولكن عقله لم يهدأ أبدًا ..

* * *

تبرّم رجال الحراسة الخمسة ، وهم يغادرون مبنى الشركة المكيّف ، إلى الطقس الشديد البرودة فى الخارج ، وقبض كل منهم على مدفعه الرشاش فى قوّة ، وأنفاسهم تتجمّد أمام وجوههم ، وهم يتجهون إلى التبّة التى دوّى عندها صوت الرصاصتين ، وغمغم أحدهم فى سخط :

ـ أراهنكم أنها مجرّد فرقعة جليد .. لقد سمعت صوتًا مشابهًا فى الشتاء الماضى .

غمغم آخر فى ضجر :

ـ أنت تعرف الزعيم .. إنه شديد الحرص والحذر ، وهو يرى أن ذلك أحد مزاياه .

غمغم ثالث فى سخرية مريرة :

ـ مزاياه ؟!

ثم لم يزد أحدهم حرفًا ، وهم ينقسمون إلى أفراد ، ليدوروا حول التبّة ، والتباب المجاورة ، وبدا الجميع وكأنهم يؤدّون عملًا روتينيًا بلا طائل ، والضجر يرتسم على وجوههم

واضحًا ، وكل منهم يتمنى انتهاء الأمر فى سرعة ، ليعود إلى المبنى المكيّف الهواء ، حيث ينعم بالدفء والراحة ..

وبينما كان أحدهم يدور حول تبّة قريبة ، سمع صوتًا هادئًا يقول :

ـ مرحبًا أيها الوغد .. إن ملامحك تبدو لى مألوفة .. هل التقينا من قبل ؟

استدار الرجل فى سرعة ، وصوّب مدفعه الرشاش إلى مصدر الصوت ، ولكن ملامحه تغيّرت فجأة ، دون أن يكون لانفعاله أدنى أثر على ذلك ، فالشىء الذى غيّر ملامحه كان لكمة قويّة ..

لكمة من قبضة (أدهم صبرى) ..

* * *

انتهى الحرّاس الخمسة من بحثهم بعد نصف ساعة ، بدت لهم كدهر كامل ، وسط هذا الطقس ، ثم اتجه قائدهم إلى بقعة خالية ، وهو يقول :

ـ الجميع إلى هنا .

اتجه الجميع إلى حيث يقف قائدهم ، وبدا للقائد أن أحدهم أكثر طولًا من ذى قبل ، وأنه يرخى قبعته بأكثر من

اللازم ، إلا أن رغبته فى العودة جعلته يتجاهل ذلك ، ويقول فى لهجة آمرة :

ـ هل من نتائج ؟

أجابه الجميع فى سرعة ، صنعتها لهفتهم إلى العودة :

ـ النتائج سلبية يا سيّدى .

أومأ الرجل برأسه موافقًا ، ثم استدار ، واتجه إلى مبنى الشركة ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. هيّا بنا نعود .

وتحرّك الجميع فى خطوات سريعة نحو المبنى ، الذى فُتحت أبوابه لاستقبالهم ، وسرى الدّفء فى أجسادهم ، حينما أُغلق الباب خلفهم ، واتجه قائدهم ليدلى بتقريره لـ (هنريك) ، فى حين اتجه الآخرون إلى أماكنهم ..

وفى هدوء انفصل أحدهم ، وغاب فى مدخل جانبى ، دون أن يلتفت إليه الآخرون .

لقد كان (أدهم صبرى) ..

ولقد كان هذا المدخل الجانبى هو أوّل الطريق إلى الهدف ..

الهدف القاتل ..

* * *

١١ ـ وكر الشياطين ..

تحرك (أدهم) داخل المكان فى خطوات هادئة ، حتى لايثير الشك ، أو يلتقط (هنريك) تحركاته المرئية عبر آلات التصوير المنتشرة فى كل مكان ، ولقد بلغت دهشته أوجها ، وهو يشاهد الآلات الحربية المنتشرة فى كل مكان ..

كانت هناك أكوام من قنابل الدبابات ، وقذائف الطائرات ، والصواريخ المضادة للطائرات ، والمدرعات ، وأعداد هائلة من المدافع الرشاشة ، والمسدسات ، وتلال من الرصاصات من كل الأعيرة والأحجام ..

كان المكان فى واقع الأمر مصنعًا ضخمًا للذخيرة الحيّة ، يكفى لتغذية جيش دولة عظمى .. وكان هذا يتفق مع مخاوف (أدهم) ، وشكوكه فى أن هدف (هنريك) يفوق التجسس كثيرًا ، ويتجاوزه إلى رغبة جنونية فى القوة والسيطرة ، ولكن يدهشه أن يكون هدف ذلك المجنون هو احتلال (كندا) كلها ، بل وربما يتجاوز ذلك إلى احتلال الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

ولكن كيف يتفق ذلك مع إرساله كل هذه الأعداد من الجواسيس إلى (مصر) ؟..

ما علاقة (مصر) باحتلال (كندا) أو الولايات المتحدة ؟..

كلا .. هناك هدف جنونى يسعى إليه (هنريك) .. هدف يفوق أقصى ما يمكن أن يتخيله (أدهم) ..

هدف قد يبلغ حد السيطرة الكاملة ..

السيطرة على العالم أجمع ..

* * *

زاد هذا الكشف من حماس (أدهم) ، وإصراره على تدمير (هنريك) ومنظمته ، وجيشه الخاص كله ، فاتجه بخطوات ملؤها الإصرار والعزم نحو مصعد كبير ، واستقله لينتقل إلى الطابق العلوى ، الذى يحجبه سطح المبنى ، وتبين له أن هذا الطابق لايحوى أية منافذ ، يمكنها أن تقوده إلى سطح المبنى الذى يحتكر (هنريك) استغلاله ، ولكن إصراره على الوصول إلى (هنريك) جعله يدلف إلى حجرة خالية ، تطل نافذتها على إفريز ضيق ، يتصل بفتحة التهوية الخاصة بمصعد (هنريك) الخاص ، وغادر الحجرة عبر النافذة ، وتعلق بالإفريز

الضيق ، وتحرّك نحو فتحة التهوية ، ثم طوّح بجسده داخلها ، وتعلّق بحافتها ، وألقى نظرة إلى أسفل ، حيث توقّف المصعد الخاص في الطابق الثالث ، وتعلّق بأسلاك المصعد ، وأخذ يهبط إليه في سرعة ، حتى استقرّ على سطحه ، ووقف ساكنًا بعض الوقت ، ثم فتح فجوة الأمان في سطح المصعد ، ودفع فُوَّهة مدفعه الرشاش في عدسة آلة التصوير ، فحطّمها بضربة قوية سريعة ، وقفز داخل المصعد ..

وفي حجرة مكتب (هنريك) ، توقّفت شاشة البث الخاصّة بالمصعد عن نقل الصُّوَر ، وكان هذا خليقًا بأن يخفق قلب (هنريك) ، ويصرخ هو في توتّر وذُعر ، إلّا أنه من العجيب أن (هنريك) اكتفى بالتلويح بكفّه في هدوء ، وهو يقول لـ (فون دريك) :

— مُر الرجال بتفقُّد المصعد .

غمغم (فون دريك) في قلق :

— ولكن ....

قاطعه (هنريك) في برود :

— افعل ما أمرتك به .

ثم استرخى في مقعده ، وأشعل سيجارًا فاخرًا ، نفث دخانه في هدوء ، مستطردًا :

— جاء دوري لأقول لك : اطمئن يا (فون دريك) إن كل شيء يسير على ما يرام .. كل شيء .

اتجه الحرّاس الأربعة لتفقُّد المصعد ، طبقًا لأوامر (هنريك) ، وشهر كل منهم مسدسه ، وضغط أحدهم على زرّ باب المصعد ، فانفتح الباب في هدوء ..

ولكن ما حدث بعد ذلك كان أبعد ما يكون عن الهدوء ..

كان عاصفة ..

عاصفة اسمها (أدهم صبري) ..

* * *

لم ينجح رجل واحد ، من الحرّاس الأربعة ، في إعطاء وصف دقيق لما حدث ، بعد فتح باب المصعد الخاص ..

كل ما اتفق عليه الأربعة ، هو أن عاصفة من القبضات والرَّكلات قد اندفعت من المصعد ، وهوت على أنوفهم وفكوكهم ومعداتهم في سرعة وتعاقُب مذهلين ، وأن الظلام قد ساد فجأة ، واكتنف عقولهم وأجسادهم ، قبل أن يدرك أحدهم ما حدث ، على الرغم من أنهم مؤهّلون للقتال العنيف المدروس ..

(أدهم) وحده كان يستطيع أن يعطي ذلك الوصف الدقيق ، فهو الذي حطّم أنف الحارس الأول ، وهشّم أسنان

الثانى ، وغاص بقبضته فى معدة الثالث ، وهوَى بلكمة على مؤخرة الرابع ، قبل أن يمنحهم الفرصة لمقاتلته ..

وهو الذى اندفع بالمدفع الرشاش ، الذى استولى عليه من الحارس ، الذى ينتحل شخصيته ، عَبْرَ الممرّ الزاخر بآلات التصوير ، متجاهلاً كَوْن (هنريك) يراقب ما يحدث فى هذه اللحظة ..

وهو الذى اقتحم حجرة (هنريك) كعاصفة هَوْجاء ..

وهو — وهذا هو المهم — الذى أصيب بالدهشة ، حينما هاجمه فجأة أربعة رجال ، بمَن فيهم حرّاس (هنريك) الأربعة الخصوصيين ..

كان هجومًا مباغتًا ، لم ينتظره ، ولم يتوقّعه ، ولكنه حاول أن يواجهه ، فهوَى بكعب بندقيته على فكّ أقرب الرجال إليه ، ودفع قدمه فى معدة الثانى ، ودار على عقبيه ليواجه الثالث والرابع ، إلا أنه تلقّى لكمة قوية فى مؤخرة عنقه ، جعلته يترنّح فى قوّة .. وقبل أن يستعيد توازنه ركل أحدهم مدفعه الرشاش ، وهوَى آخر على رأسه بلكمة قوية ، فدار رأسه فى عنف ، وتراقصت المشاهد أمام عينيه ، وحاول أن يقاوم ، ولكن لكمة أخيرة أنهت الصراع ، وألقته فاقد الوعى

وسط حجرة (هنريك إدوارد) ، الذى ضمّ راحتيه أمام وجهه ، وهو يقول مبتسمًا فى ظفَر وارتياح :

— إنه لا يتعلّم بسرعة للأسف .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا فى هدوء :

— انقلوه إلى حجرة اختبارات التجميد .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة شامتة ، وهو يردف :

— لقد حصلنا على حيوان تجارب جديد ..

* * *

تململت (منى) فى مقعدها داخل الطائرة ، وزفرت على نحو نقل إلى (قدرى) ضيقها وضجرها ، فالتفت إليها يسألها فى قلق :

— ماذا بك هذه المرّة ؟

لوّحت بكفّها ، وهى تقول فى حَنَق :

— ألا توجد وسيلة أسرع للسفر إلى (كندا) ؟

ابتسم وهو يقول :

— ستوجد وسائل أكثر سرعة فى المستقبل بالتأكيد ، أمّا الآن فالرحلة تستغرق عشرين ساعة على أقل تقدير ، ولم يعُد

أمامنا سوى خمس ساعات ، وبعدها سنحتاج إلى خمس ساعات أخرى للوصول إلى (بافن) ، والله (سبحانه وتعالى) يعلم متى نصل إلى (السمير) .

زفرت مرّة أخرى فى ضيق ، وهى تقول فى توتر :

— ونحن نتصوّر أننا نهرع بأقصى سرعة لمعاونة (أدهم) ؟!

عقد حاجبيه وهو يغمغم :

— (أدهم) هو خير من يعاون نفسه يا (منى) .. صدّقينى .. إن وجودنا بالنسبة إلى (أدهم) لن يساوى أكثر من حصاة صغيرة تحاول مساندة جبل .

غمغمت فى صوت أقرب إلى البكاء :

— ولكن قلبى يشعر أنه فى خطر يا (قدرى) .. خطر هائل ..

* * *

أحاط الظلام بعقل (أدهم) طويلًا ..

ظلام دامس عميق ، ماله من قرار ..

ثم ظهر بصيص من الضوء وسط الظلام .. واتسع .. واتسع .. حتى عاد ذهنه إلى وعيه دفعة واحدة ..

وشعر (أدهم) بصداع شديد ، وبآلام هائلة فى عنقه وكتفيه ، وكشف منذ الوهلة الأولى أنه ممدّد فوق مائدة رخامية باردة ، مكبّل المعصمين والقدمين بقيود حديدية مثبتة بالمائدة ، ففتح عينيه فى بطء ، ليطالعه وجها (هنريك) و (فون دريك) ، بابتسامتيهما الساخرتين الشامتين ، مما جعل (أدهم) يتجاهل آلامه وأوجاعه ، ويرسم على شفتيه ابتسامة ، أودعها أكبر قدر من السخرية وهو يقول :

— يا إلهى !!.. لم أكن أتصوّر أن أعمالى قد بلغت هذه الدرجة من السوء ، إننى فى الدرك الأسفل من الجحيم ولا شك ، فأنا أرى وجهى أبشع وأقبح شيطانين فى جهنم كلها .

عقد (فون دريك) حاجبيه ، واحتقن وجهه فى غضب ، فى حين ابتسم (هنريك) فى هدوء ، وهو يقول :

— يبدو أنك لا تفقد روحك المرحة أبدًا يا مستر (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، جعلت (فون دريك) يستشيط غضبًا ، ويهتف فى سخط :

— ستدفع ثمن كل هذا أيها المتبجح .. إننى سأ .....



وكشف منذ الوهلة الأولى أنه ممدد فوق مائدة رخامية باردة ، مكبّل المعصمين والقدمين ..

قاطعه (هنريك) بإشارة صارمة من يده ، وواجه (أدهم) ، قائلًا في هدوء :

— رائع يا مستر (أدهم) .. إنك رجل نادر بحق .. إنك مصاب برصاصة في كتفك ، اخترقته من الأمام ونفذت من الخلف ، ولكنك — على الرغم من ذلك — أوقعت ثلاث طائرات ، ونجحت في الوصول إلى هنا ، وخدعت رجال حراسة المبنى ، وتسلّلت إليه بخدعة ماهرة ، وقاتلت أربعة رجال أشدّاء ، وهزمتهم في أقل من نصف الدقيقة .. إنك رجل رائع بحق .

ثم مطّ شفتيه ، ورفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يستدرك :

— ولكنك لا تتعلّم بسرعة .

وتنهّد قبل أن يُردِف في هدوء :

— لقد تصرّفت بحكمة وذكاء ، حتى وصلت إلى المبنى ، وبعدها اتجهت بلا مبرّر إلى مخازن الذخيرة ، وأخذت تتأمّل محتوياتها في دهشة واضحة ، جعلتني أرتاب في أمرك ، وأنا أشاهدك على إحدى شاشاتي الراصدة ، فتابعتك وأنت تصعد إلى الطابق العلويّ ، وتعبُر النافذة .. ولقد كان من السهل أن أتوقّع أنك ستتسلّل عَبْرَ فتحة التهوية لمصعدي الخاص ، ولقد سار كل شيء كما توقّعته تمامًا .

ثم ابتسم في زَهْوٍ ، وهو يواصل :

— وقبل أن ينتابك الفخر ، وأنت تتصوَّر أنك قد هزمت حرّاسي الأربعة ، ينبغي أن تعلم أن هؤلاء الرجال الأربعة ، الذين حطَّمتهم بقبضتيك وقدميك لم يكونوا رجال حراستي الخصوصيين ، بل مجرَّد أربعة حرّاس عاديين .. فمهما بلغت براعتك ، لن يمكنك هزيمة أربعة رجال في قوة ومهارة حرّاسي الخصوصيين يامستر (أدهم) .. ولكنك — وعلى الرغم من ذلك — أثرت إعجابي بشدَّة ، مما دفعني لطلب المزيد من المعلومات عنك ، من (الموساد) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

— هل تنتمي إلى (الموساد) ؟!

هتف (هنريك) في استنكار :

— (الموساد) ؟!.. كلَّا بالطبع .

وعادت إليه ابتسامته ، وهو يستطرد :

— إن هدف دولة (الموساد) هو : « من النيل إلى الفرات » ، كما يقولون دائمًا ، على الرغم من ثقتي باستحالة نجاحهم في تحقيق هذا الهدف ، إلا أنني أراه هدفًا شديد التواضع ، فهدفي أنا يتجاوزه كثيرًا ..

وبرقت عيناه على نحو أقرب إلى الجنون ، وهو يرفع هامته ، ويقول في فخر :

— هدفي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب يامستر (أدهم) .. من شرقيّ (روسيا) وإلى غربي الولايات المتحدة ..

ثم مال نحو (أدهم) ، وهو يردف في انفعال حماسي قويّ :

— إن هدفي هو احتلال العالم .. العالم كله يامستر (أدهم) .

* * *



١٢ ــ إمبراطور الجنون ..

مضت دقيقة كاملة و (أدهم) يحدّق فى وجه (هنريك) فى دهشة بالغة ..

كان ما نطق به (هنريك) هو نفسه ما فكّر فيه (أدهم) ، إلا أن الحقيقة أدهشته ..

وفجأة .. وجد (أدهم) نفسه يهتف فى سخط :

ــ يا لك من مجنون !!

برقت عينا (هنريك) فى وحشية ، وصاح وهو يلوّح بذراعيه فى قوة :

ــ مجنون ؟!.. مجنون لأننى أسعى لتحقيق حلم زعماء البشرية منذ الخليقة ؟!.. سترى ما الذى سيفعله هذا المجنون أيها المصرى .. سترى كيف سأصبح يومًا إمبراطور كوكب الأرض .

هتف (أدهم) فى حِدّة :

ــ إمبراطور كوكب الأرض ؟!.. بل قُلْ إمبراطور الحمقى والمجانين !.. إن السيطرة على العالَم أحمق حلم بعيد المنال أيها الوغد .. لقد فشل عظماء قبلك ؛ لأنهم فكّروا فى هذا ..

حاول أن تقلب صفحات التاريخ ، وستجد أنك لست أول من يصابه هذا النوع من الجنون ، لقد سبقك إليه (الإسكندر الأكبر) ، و (نابليون بونابرت) ، و (أدولف هتلر) ، و .....

اندفع (فون دريك) يهتف فى غضب :

ــ لم يكن (أدولف هتلر) مجنونًا .. لقد كان عبقريًّا .. كان أعظم زعيم سياسى فى العالَم .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ هذا واضح أيها الألمانى .. وأبرز أمثلة وضوحه هو انتحار عبقريك هذا ، بعد أن حطّم اقتصاد دولته وجيشها بحلمه المجنون .

همّ (فون دريك) بالاستنكار الغاضب مرّة أخرى ، ولكن (هنريك) اندفع يقول فى حِدّة :

ــ فليكن (هتلر) عبقريًّا أو مجنونًا ، وليذهب إلى الجحيم سواء كان هذا أو ذاك .. إننى لست (أدولف هتلر) ، ولست (نابليون بونابرت) .. إننى (هنريك إدوارد) ، وسأصبح عن قريب سيّد هذا العالَم .

هتف (أدهم) فى حنق :

— وكيف تنوى أن تحقق هدفك أيها الإمبراطور المجنون ؟

زفر (هنريك) فى قوة ، واستعاد هدوءه فجأة ، وهو يعتدل قائلًا :

— نعم .. هذا هو السؤال الصحيح .

وبدا الاهتمام الشديد على ملامحه ، وفى نبراته ، وهو يستطرد :

— إن العالم الآن على حافة بركان أيها المصرى .. (روسيا) و (أمريكا) تتربّص كل منهما بالأخرى .. و (إسرائيل) تتحرّش بالدول العربية فى الشرق الأوسط .. و (آسيا) تلتهب بصراعات داخلية .. و (إفريقيا) تحارب التفرقة العنصرية .. و (أوروبا) تلتهب بصراعات طائفية وانهيارات اقتصادية ، و (أمريكا الجنوبية) تشتعل بالانقلابات التى لاتهدأ ولاتستقر .. انظر إلى العالم كله ، تجده يتناحر ويتصارع ، فيما عدا هنا .. فى (كندا) ، على مشارف القطب الشمالىّ .. ومن هنا .. من الجهة التى لايتوقّعها أحد ، سيبدأ غزو العالم .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد .

تجاهل (هنريك) هذا التعليق ، وهو يستطرد فى نشوة :

— لن يمكنك أن تتصوّر عدد الجواسيس التابعين لى ، فى كل الدول ذات المواقع الحيوية ، والاستراتيجية فى كل أنحاء العالم .. حتى أنا أعجز عن معرفتهم ، لولا أننى أحتفظ بكل المعلومات عنهم فى أسطوانة كمبيوتر رقيقة ، داخل مخبإ سرّىّ فى حجرتى .. يكفى أن تعلم أن مرتباتهم الشهرية تكلّفنى عشرة ملايين دولار .. هل يمنحك هذا فكرة عن عددهم ؟.. إن مهمّة هؤلاء الجواسيس هى جمع أكبر قدر من المعلومات عن تلك الدول ، واستغلال نقاط الضعف والخطإ فى أنظمتها وحكوماتها ، وتأهيل شعوبها لإشعال الفتن والثورات ، حينما تحين ساعة الصفر .

وأطلق ضحكة شيطانية جنونية ، قبل أن يردف فى انفعال :

— وفجأة .. وفى ساعة أحدّدها أنا ، ستشتعل الثورات فى كل الدول الكبرى ، وستلتهم النيران أمنها الداخلى ، وفى نفس اللحظة ستنبعث الشرارة من هنا .. من (إلسمير) ، وسأشن الحرب على كل النظم والدول ، فى الوقت الذى يعجزون فيه عن قتالى ، وصد هجومى ، ولن يمضى وقت طويل حتى يستسلم الجميع ، وأصبح أنا إمبراطور العالم ..

مطّ (أدهم) شفتيه ، وهو يقول فى ازدراء :

ـــ أسخف وأتفه خطة سمعتها فى حياتى كلها .. إن خطتك لا تصلح لاحتلال قرية صغيرة فى دولة من دول العالم الثالث .

صرخ (هنريك) فى غضب :

ـــ سترى .

ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول فى شماتة :

ـــ كلا .. إنك لن ترى .. لن تكون هنا لترى .

وأشار إلى الحجرة التى يقف فيها ، وهو يقول :

ـــ هل تعرف ما هى هذه الحجرة يا مستر (أدهم) ؟.. إننا نطلق عليها اسم حجرة اختبارات التجميد ، وهنا يتمّ تجميد أسماكنا قبل تصديرها ، ونحن نستخدم لهذا غاز النيتروجين السائل ، بحيث يتمّ التجميد خلال دقيقة واحدة .

وانحنى نحو (أدهم) ، وهو يردف فى سخرية :

ـــ هل سبق لك أن رأيت سمكة قطبية مجمّدة يا مستر (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ إنها ستبدو أجمل منك بالتأكيد .

مطّ (هنريك) شفتيه ، واعتدل قائلاً :

ـــ إنك لا تصلح للتفاهم يا مستر (أدهم) .

ثم لوّح بذراعه ، قائلاً فى انفعال :

ـــ أراهن أنك ستبدو أكثر وسامة داخل قالب من الثلج يا مستر (أدهم) .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يسأله :

ـــ إلى أين تحب أن نصدّرك يا مستر (أدهم) ، بعد تجميدك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول فى بُرود :

ـــ اطمئنّ أيها الوغد .. إنك لن تجد الفرصة لذلك .

عقد (هنريك) حاجبيه فى غضب ، وأشار إلى رجاله قائلاً فى صرامة :

ـــ فليغادر الجميع حجرة التجميد ، وليستعد الفنيّون لإجراء عملية تجميد خاصّة .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال فى برود شديد :

ـــ الوداع يا مستر (أدهم) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وشاهد الجميع يغادرون حجرة التجميد ، ويغلقونها خلفهم فى إحكام ، وبدا له جوّها

شديد البرودة ، وخُيّل إليه أنه يرى الموت وهو يزحف نحوه ، في رداء للجن ..
رداء تحت الصفر ..

* * *

(نهاية الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني)

[الجليد المشتعل]

رقم الإيداع : ٣٦٩٩